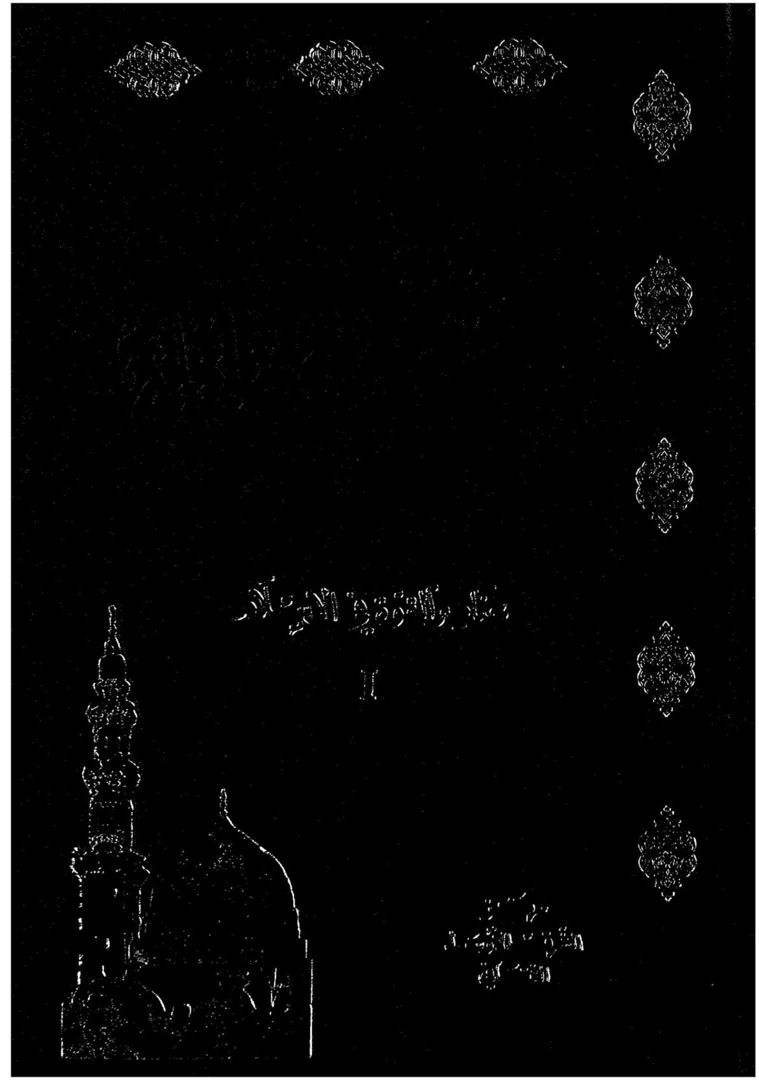







الموسوعة
الإسلامية الشاملة



الموسوعة الإسلامية الشاملة

عناصر القوة في الإسلام

I

السيد سابق

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

Middle East Cultural Center مركز الشرق الأوسط الثقافي

For Printing, Publishing, Translating & Distributing للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

General Management: الإدارة العامة:

بيروت ـ الحدث، هاتف: ٨٨٨ ـ ٤٦١٧٧٧ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ فاكس: ٤٦١٩٩٩ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ خليوي: ٦٤٠٤٩٠ ـ ٣ ـ ٩٦١

مصر ـ الدقي، هاتف: ٠٠٢٠٢٣٣٦٥١٥٢ ـ خليوي: ٨٨ ـ ٧٧ ـ ٦٦ ـ ٠٠٢٠١٨٢٥١١١٥٥

سوريا ـ دمشق، هاتف: ٠٣٠ ـ ٠٢٠ ـ ٠٠٩٦٣١١٤٦٤٤٠١٠ ـ خليوي: ٩٦٣٩٤٩٩٧٧٦٤

Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461777 - 888 - Fax: 961-5-461999, Mobile: 961-3-640490
Cairo - Dokki, 002023365152 - Mobile: 0020182511155-66-77-88
Syria - Damascus, 00963114644010 - 020 - 030 - Mobile: 96394997764
Web site: www.lccpublishers.tk E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

دور الأمة الإسلامية دور إمامة وزعامة، وقد أمدها الإسلام بالعناصر التي تؤهلها لهذا المنصب الخطير..

ومن هذه العناصر تتألف القوة الحقيقية التي تصل بالأمة إلى غاياتها، من العزة والمنعة، والمجد والسؤدد، والسيادة والقيادة، والتمكين في الأرض.

وليست هذه العناصر مقصورة على جانب دون جانب، وإنما تتناول جوانب الحياة جميعاً، فهي تتمثل:

* في الإيمان بالله إيماناً يحرر الضمير والوجدان.

* وفي الاستعصام بالحق استعصاماً يزهق أمامه الباطل ويندحر.

* وفي معرفة الضعف النفسي، والتطهر منه، حتى تأخذ النفس طريقها إلى العزة، والسمو الروحي.

* وفي العلم المقوم لشخصية الإنسان، والكاشف له عن حقائق الوجود المادي، وما وراء هذا الوجود من عالم ما وراء الطبيعة.

* وفي الثروة، وتعمير الأرض، واستثمار قوى الكون، والانتفاع بما في الطبيعة، من بركات الله وخيراته، وتوزيعها على أفراد الأسرة الإنسانية بالكفاية والعدل.

* وفي إقامة المجتمع على أساس من الحرية، والعدالة، والمساواة، والتشريع السمح، والعمل الجاد، والمعاشرة الحسنة، والحكم الصالح، الذي تكون فيه السيادة للأمة.

* وفي السلام العام القائم على احترام الإنسان وكفالة حقوقه.

* وفي احترام العهود والحفاظ على المواثيق.

* وفي التضحية النبيلة والاستشهاد في سبيل الحق، ومن أجل الحياة الحرة الكريمة.

هذه هي عناصر القوة في الإسلام، وهي ليست مثل القوة التي اصطلح الناس عليها؛ فهي قوة في العقيدة، وقوة في الخلق، وقوة في العلم، وقوة في المال، وقوة في التماسك الاجتماعي، وقوة في التنظيم السلمي، وقوة في الاستعداد الحربي..

وسيادة الأمة وقيادتها منوطة بتوفر هذه القوى مجتمعة.

وقد كانت هذه القوى هي العامل الأساسي في نجاح هذه

الأمة في أول دور من أدوار حياتها التاريخية؛ فما كادت تجتمع لها هذه العناصر حتى آل إليها ميراث الأرض، ووضع في يدها قياد الأمم، ووكل إليها إخراج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده. ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها.

وباجتماع هذه العناصر أصبحت الأمة رفيعة البنيان، عظيمة السلطان، ثابتة الأركان، باذخة الذرى. وتم لها وعد الله الذي لا يتخلف.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ (١).

وما زالت كذلك حتى غيرت ما بنفسها. وأخلفت ما عاهدت الله عليه. فغير الله ما بها؛ وطبق عليها سنته في الاجتماع البشري.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (٢).

وكان العامل في هذا التغيير ـ في نظر المصلحين ـ هو

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

التنازع على الحكم والسلطان، والتعصب للجنس والنسب والاختلاف في أصول الدين وفروعه، وإرجاف المرجفين، ودسائس المستعمرين والابتعاد عن روح الإسلام والتعلق بالشكل دون الحقيقة والجوهر.

وقد أثرت هذه العوامل مجتمعة في كيان الأمة وحيويتها، وأضعفت من دورها الحضاري العظيم.

فكان أن أصيبت بضعف في العقيدة، وانحطاط في الخلق، وتخلف في العلم، وفقر في الثروة، وتفكك في الروابط، وفساد في الحكم، وفوضى في كل شأن مما عرضها للغزو الأجنبي، والاستعمار الخارجي.

وكانت وطأة هذا الاستعمار شديدة وقاسية.

لقد شككها في دينها. وغير من أخلاقها. وشوه حضارتها. وأعطى لنفسه القوامة على حكمها وتشريعها، وعلى علومها وفنونها، وعلى ثروتها واقتصادها.

وتمكن من السيطرة على جيشها وقوتها العسكرية. ونجح في تمزيق الكيان الإسلامي إلى طوائف، وشيع، وأحزاب، وفرق.

ولم يدع فرصة لتحطيم مقومات هذه الأمة، ومحاولة إفناء شخصيتها إلا وسعى إليها في مكر وخبث، وتدبير وإحكام.

واستطاع بمحاولاته الماكرة أن يحقق الكثير مما يستهدفه إلا أنه عجز عن القضاء على روح الأمة، وإفقادها معنوياتها.

وعلى أثر هذه الضربات الموجعة التي أنزلها بها الاستعمار الكافر.

بدأت الأمة تستيقظ من نومها وتسترد وعيها، وتتحسس طريقها محاولة انتزاع مكانتها، في قوة، وعزم، واقتدار.

وهي وإن لم تبلغ الغاية بعد، إلا أنها مصممة على بلوغها مهما بذلت من تضحيات. ومتى صح العزم... وضح السبيل.

ومن الواجب علينا ونحن في هذه المرحلة الحاسمة أن نبدأ بتغيير جوهري في نفوسنا وفي أخلاقنا، وأن يكون ذلك التغيير عاماً وشاملاً بالنسبة للعامة والخاصة، ويكون على أساس مدروس، وخطة محكمة؛ لكي نتقي أسباب الانحلال والضعف من جهة، ونأخذ بأسباب القوة والعزة من جهة أخرى.

وأسباب القوة ليست في فوضى الأخلاق، ولا في التحلل من الآداب؛ ولا في التشكيك في المثل والقيم، ولا في تقليد الشرق أو الغرب، ولا في استيراد المبادئ من هنا أو هناك.

وإنما هي في الأصول الخالدة، والمبادئ الكريمة التي جاء بها الإسلام.

وفي خلال هذه المعركة الدائرة رحاها بين الطليعة التحررية من أبناء هذه الأمة وبين الاستعمار الصليبي الأسود، نرى من حق أمتنا علينا أن نذكر بالقوة الحقيقية لنهضتنا، والعوامل التي تربط حاضرنا المتوثب بماضينا المجيد.

وقد عرضنا في هذا الكتاب لهذه العوامل، معتمدين على نصوص الإسلام نفسها ـ كما هو منهجنا في عرض قضايا الإسلام ـ لنتبين وجهة الإسلام على حقيقتها، ولتتضح الحركة الإسلامية، وأنها حركة تقدمية تستهدف تغيير أوضاع الحياة، وإرساءها على قواعد راسخة لا تبلى جدتها؛ ولا تهن قوتها. وأنها سبقت جميع المبادئ التي اهتدت الإنسانية إلى بعضها ـ فضلاً عن أنها أسمى منها وأكمل.

صحيح أن الإسلام لم يذكر المصطلحات الحديثة، ولا هذه الألفاظ التي يدندن بها كثير من المعاصرين.

ولكن هل قيمة الشيء في تسميته، أو أن له قيمة ذاتية مستقلة...؟

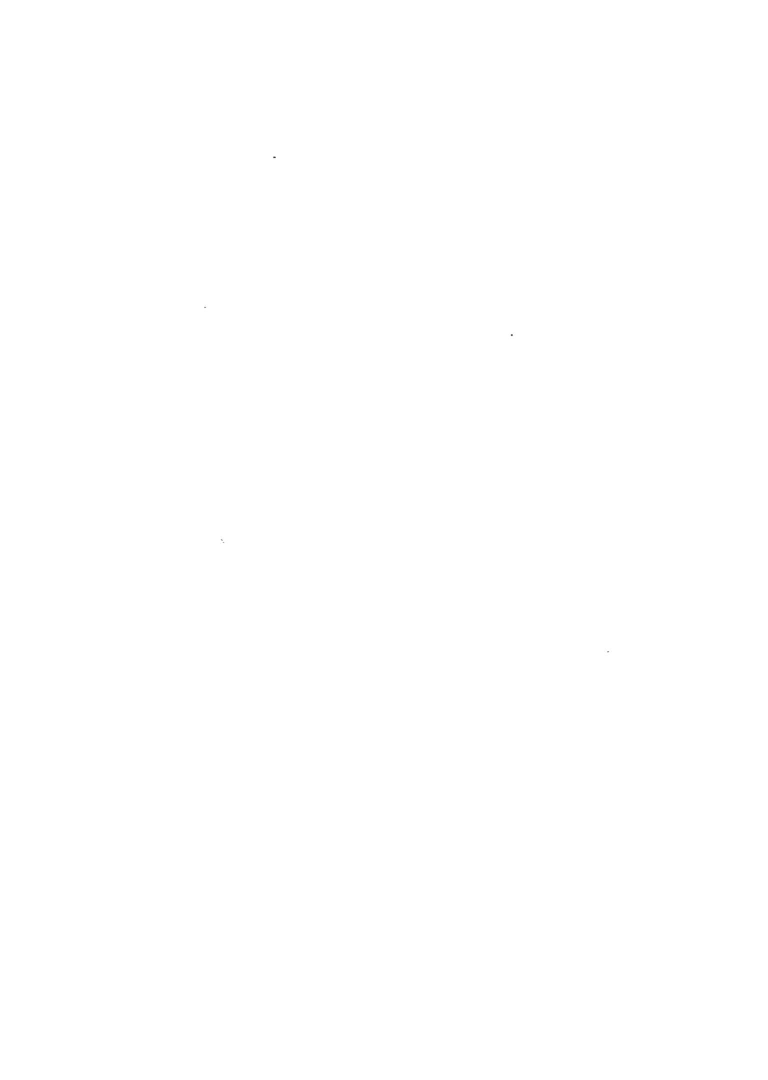
إن قيمة الشيء في حقيقته ذاتها، وفي مدى نفعه، وأثره الطيب في حياة الناس، إن الأسماء لا تغير من الواقع شيئاً، إنها لا تجعل الحقيقة كالحة إذا كانت وضيئة، ولا تغض من قيمتها إذا كانت ذات قيمة.

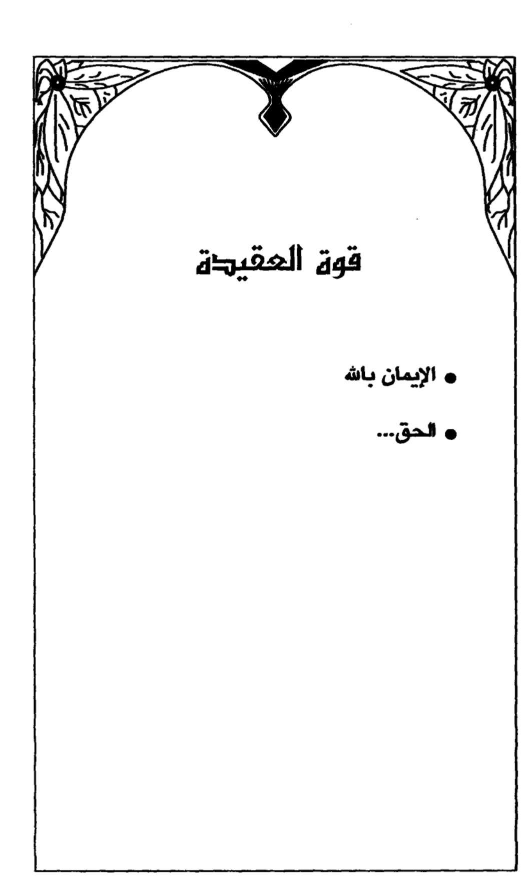
إن الإسلام قوة في ذاته، ولكن المنتسبين إليه هم الذين تسرب الضعف إلى نفوسهم بانحرافهم عنه، فشوهوا جماله، وحجبوا نوره، وكانوا حجة لأعدائه، ودليلاً في يد خصومه. وسلاحاً يشهرونه في وجوه دعاة الإسلام، وخسر العالم بذلك هداية الله، ورحمته المهداة إلى عباده.

وقد آن للمسلمين أن يفقهوا الإسلام، ويعوا ما فيه، ويتمثلوه في كل ناحية ويجسدوه بالعلم والعمل، حتى ترتفع أعلامه، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾[1].

(١) سورة الروم، الآيات: ٣ ـ ٦.





قوة العقيدة

- الإيمان بالله
- الحق...



الإيمان بالله

الوجود الإلهي:

١ ـ كل ما في الكون شاهد على وجود الله.. وعناصر الوجود، ومواد الطبيعة تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً.

وكتاب الله الكريم كثيراً ما يلفت الأنظار، ويوجه الأفكار إلى هذه الحقيقة:

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾[1].

٢ ـ والنفس الإنسانية مغروس فيها الشعور بوجود الله.. وهو شعور فطري فطر الله الناس عليه، وعبر عنه العلماء بالغريزة الدينية.

---

(١) سورة الجاثية، الآيات: ٣ ـ ٥.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (١).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ (٢).

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (٣).

وفي الحديث الصحيح: **«كل مولود يولد على الفطرة»**.

وهذا الشعور النفسي يستيقظ عند وجود مثير يبعث على اليقظة، من ألم ينزل أو ضر يحيط.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ (٤).

٣ - والوجود الإلهي كما هو حقيقة تتجلى في الكون، وفي

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٢ ـ ١٧٤.

(٣) سورة الطور، الآيتان: ٣٥ ـ ٣٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٢.

الطبيعة، وفي الأشياء، وفي النفس ـ فهو قريب من الإنسان، بل أقرب إليه من نفسه. يسمع دعاءه، ويلبي نداءه، ويحقق رجاءه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2].

حقيقة الذات الإلهية:

وحقيقة الذات الإلهية لا تعرف، ولا يدرك كنهها؛ لأنها لا تحيط بها الفكرة. والإنسان لم يعط وسائل إدراكها بعد. وإذا كان الإنسان لا يزال عاجزاً عجزاً مطلقاً عن معرفة الكثير من حقائق الأشياء الموجودة في الكون والطبيعة وهي بين يديه فإن عجزه عن معرفة ما وراءها أظهر.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(2) سورة ق، الآية: ١٦.

(3) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وعن ابن عباس: أن قوماً تفكروا في الله عز وجل. فقال النبي ﷺ: **«تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره»** (٢).

الطريق إلى المعرفة:

والطريق إلى معرفة الله ومعرفة كمالاته الإلهية هي التفكير في خلقه كما جاء في الحديث من جهة، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا من جهة أخرى.

ـ فالأسماء والصفات هي الوسائل التي تعرَّف الله بها إلى خلقه، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله مباشرة. وهي التي تعطينا صورة صحيحة عن الكلمال الإلهي المطلق.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لله تسعة وتسعون اسماً: مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»** رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وزاد:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) قال العراقي. رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد ضعيف. ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه. ورواه أبو الشيخ كذلك. وهو على كل حال صحيح المعنى.

«هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح. العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل. السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلي. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوي. المتين. الولي. الحميد. المحصي. المبدئ. المعيد. المحيي. المميت. الحي. القيوم. الواجد. الماجد. الواحد. الصمد. القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. الوالي. المتعالي. البر. التواب. المنتقم. العفو. الرؤوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. المقسط. الجامع. الغني. المغني. المانع. الضار. النافع. النور. الهادي. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور - جل جلاله».

من ثمار المعرفة بالله:

وإذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب - أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة، وتركت في نفسه آثاراً طيبة، نجمل بعضها فيما يلي:

(أ) من ثمار الإيمان بالله والمعرفة به تحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحيي المميت، الخافض، الرافع، الضار، النافع، المعطي، المانع.

وأنه ليس لبشر مهما علا قدره، وعظم شأنه أن يسوق إلى الإنسان ما أراد الله منعه، أو أن يمنع عنه ما أراد الله أن يعطيه إياه، وما البشر إلا خلق مثله.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (١).

وإذا تحررت النفس من سيطرة الغير، أخذت طريقها إلى الكمال دون أن يعوقها عائق، أو يصدها عن غايتها صاد.

وقد جاءت توجيهات القرآن راسمة للإنسان هذا المنهج، وموضحة له هذا الطريق.

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٢).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

ورسول الله ﷺ مع رفعة قدره، وعظم منزلته عند الله لا يخرج عن هذه القاعدة. ولا يشذ عنها. فالبشر جميعاً من طينة واحدة. وهم متساوون في القيمة الإنسانية، ويجري عليهم حكم واحد.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[2].

إن الذي عوق الإنسانية عن النهوض، وحال بينها وبين رقيها، هو الخضوع للاستبداد، سواء أكان هذا الاستبداد استبداد الحكام، والرؤساء، أم استبداداً كهنوتياً لرجال الدين.

وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة قضى على هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين، التي لازمته قروناً طوالاً.

(ب) والإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام. واحتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق.

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

إذ أن الإيمان يوحي بأن واهب العمر هو الله. وأنه لا ينقص بالإقدام، ولا يزيد بالإحجام، فكم من إنسان يموت وهو على فراشه الوثير، وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمرات المعارك والحروب.!!

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[1].

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[3].

(ج) والإيمان يقتضي الاعتقاد بأن الله هو الرزاق؛ وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٦.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [1].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [2].

وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخلص الإنسان من رذيلة البخل والحرص والشره والطمع، واتصف بفضيلة الجود والبذل والسخاء والأنفة والعفة، وكان إنساناً مأمول الخير، مأمون الشر.

(د) والطمأنينة أثر من آثار الإيمان: أي طمأنينة القلب، وسكينة النفس.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [3].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [4].

وإذا اطمأن القلب، وسكنت النفس ـ شعر الإنسان ببرد الراحة، وحلاوة اليقين، واحتمل الأهوال بشجاعة، وثبت إزاء

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٤.

الخطوب مهما اشتدت، ورأى أن يد الله ممدودة إليه، وأنه القادر على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرب إليه الجزع، ولا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلا.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [1].

(هـ) والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، وهو الله مصدر الخير، والبر، والكمال.

وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائذ الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف، وتحقيق القيم الصالحة، ومن ثم يتجه المرء اتجاهاً تلقائياً لخير نفسه، ولخير أمته، ولخير الناس جميعاً. وهذا هو السر في اقتران العمل الصالح بجميع شعبه، وفروعه بالإيمان؛ إذ أنه الأصل الذي تصدر عنه وتتفرع منه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ﴾ [2].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) سورة يونس، الآية: ٩.
(٣) سورة الحج، الآية: ٥٤.

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[1].

وإذا اهتدى القلب فأي شيء من الخير يفوته؟!

(و) والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة.

وتتمثل هذه الحياة في ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره على أعدائه، وحفظه مما يُبَيَّتُ له، وأخذه بيده كلما عثر، أو زلت به قدم. فضلاً عما يفيضه عليه من متاع مادي، يكون عوناً له على قطع مرحلة الحياة في يسر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[4].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ﴾ [1].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [2].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [3].

وقد انتهى العلم إلى هذه الحقائق الإيمانية، ولا يتسع المجال لإثبات شهادات كبار العلماء، وتسجيل ما شاهدوه.

ونكتفي هنا بتسجيل ما نشر بجريدة الجمهورية يوم السبت ٢٩/١١/١٩٦٢. قالت الصحيفة، تحت عنوان «العلماء يلجأون إلى الدين لعلاج مرضى الأمراض العقلية»:

عزاء وسلوان لأولئك الذين تشبثوا بدينهم، ولم يتزعزع إيمانهم في أحلك لحظات المدنية وأتعسها.. أقصد تلك اللحظات التي يتشدق فيها دعاة النظريات العتيدة. وفي مقدمتها نظرية النشوء والارتقاء «للداروين»، ويتشدقون فيها بأن الدين بدعة، وبأن الإنسان يقف وحده في هذا الكون، كما زعم «جوليان هاكسلي» جد الكاتب والفيلسوف البريطاني الكبير «ألدوس هاكسلي».

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٨.

إن علماء الأمراض العقلية لا يجدون اليوم سلاحاً أمضى وأبعد فاعلية لعلاج مرضاهم من الدين.. الإيمان بالله.. والتطلع إلى رحمة السماء.. والتشبث بالرعاية الإلهية.. والالتجاء إلى قوة الخالق الهائلة، عندما يتضح عجز كل قوة سواه.!!

لقد بدأت التجربة في مستشفى Ma Heawar بولاية نيويورك، وهو مستشفى خاص بمرتكبي الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية.

بدأت التجربة بإدخال الدين كوسيلة جديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ، والعقاقير المسكنة، والمهدئة للأعصاب.

وكانت النتيجة رائعة.. إن أولئك الذين تعذر شفاؤهم، بل فقدوا الأمل فيه ـ انتقلوا من عالم المجانين إلى عالم العقلاء.. أولئك الذين ارتكبوا أفظع الجرائم، وهم مسلوبو الإرادة.. باتوا يسيطرون على إرادتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم، ويذرفون الدمع ندماً، وكلهم أمل في رحمة السماء، ومغفرة الله.

واستسلم العلماء، ورفعوا أيديهم إلى السماء، يعترفون بضعفهم، ويعلنون للدنيا أن العلم يدعو إلى الإيمان، وليس أبداً إلى الإلحاد.

وأنت طبعاً لست في حاجة لأكثر من الإلمام بالقراءة، وحتى إذا كان قد فاتك قطار التعليم، فأمامك بيوت الله، وفيها السلوى.. وفيها العزاء.!!



الحقُّ...

يتمثل الحق في العقيدة الصحيحة، والعلم النافع، والعمل الصالح، والخلق الكريم. ومن ثم فقد أطلق على الإسلام لفظ الحق.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (1).

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (2).

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (3).

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ (4).

---

(1) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(2) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(3) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.

(4) سورة سبأ، الآية: ٦.

الحق رسالة الرسل جميعاً:

والإسلام الحق هو دعوة الأنبياء جميعاً. وما رسالة محمد - صلوات الله وسلامه عليه - إلا إتماماً لهذه الدعوة، وامتداداً لها.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1].

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

قال ﷺ :

«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها ينظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة. فأنا موضع اللبنة. خُتم بي الأنبياء».

وكان رسول الله ﷺ يقول في قيام الليل:

«اللهم لك الحمد. أنت نور السموات والأرض ومن

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

فيهن. ولك الحمد أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت الله لا إله إلا أنت».

الصراع بين الحق والباطل:

والصراع بين الحق والباطل قديم، منذ عرف في الدنيا حق وباطل.

ودائماً تكون الغلبة في النهاية للحق؛ لأنه الثابت النافع. كما تكون الهزيمة للباطل؛ لأنه هو الزهوق الضار.

وهذه هي سنة الله التي أبان عنها في كتابه:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [1].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [2].

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [3].

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

وحتى تتجلى هذه الحقيقة في الأذهان، وتأخذ طريقها إلى الأفهام ضرب الله المثل للحق والباطل بالماء والحديد، والزبد والخبث.

فمثل الحق مثل الماء والحديد في بقائهما ونفعهما.

ومثل الباطل مثل الزبد الذي يعلو الماء، والخبث الذي يعلو الحديد، فإنه لا بقاء لهما، ولا منفعة فيهما.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[1].

سنن الله في إقامة الحق:

ومن سنن الله ألا يقوم الحق وحده، وإنما ينهض بالرجال الكبار الذين لهم مزايا وخصائص.

١ ـ من هذه المزايا: الثبات عليه، والاعتصام به..، فما شرفت النفس بمثل معرفتها بالحق، واستمساكها به..، فهو الذي يعلي قدرها، ويرفع شأنها.. يقول الله سبحانه:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[2].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.

أي: أن الوحي الذي نزله الله على نبيه شرف له، ولمن استمسك به...، وهذا كقوله سبحانه:

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقد أثنى الله على المستمسكين بالحق الذين يعتصمون بعروته، ولا يخالفون عن أمره، وأخبر أنه لا يضيع شيئاً من أجورهم، فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[2].

٢ ـ ومنها: أن يكون لهم من الشجاعة ما يحملهم على الجهر به، والإعلان عنه دون خوف أو جبن؛ لأنهم منتدبون من قبل الله لإشاعة هذا النور، والإذاعة به في العالمين.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

والجهر بالحق من أعظم الفضائل؛ لأنه لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق، فما دام الدعاة إلى الله يجهرون بالحق، ويدعون إليه، ويعملون على نشره، فسوف يتوارى الباطل، وينكمش كما تتوارى الخفافيش في ضوء النهار.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

ولهذا كان الجهر بالحق واجباً من الواجبات الدينية، والاجتماعية، وكانت الآيات التي تتحدث عنه أكثر من الآيات التي تتحدث عن بعض أركان الإسلام.

ولا يتصور أن تنهض جماعة، أو ترقى أمة إلا إذا وجد فيها الدعاة الذين ينادون بالحق، ويصرحون به.

ويوم تفقد الأمة هؤلاء يكون ذلك إيذاناً بغروب شمسها، وتنكيس أعلامها. يقول الرسول ﷺ:

«إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّعَ منهم».

ودعاة الحق من واجبهم ألا يخشوا إلا الله، وألا يخافوا أحداً سواه؛ لأن الجهر بالحق لا ينقص رزقاً، ولا يقدم أجلاً؛ فإن الآجال بيد الله، والأرزاق في قبضته. يقول الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[2].

وحين أمر موسى بتبليغ فرعون دعوة الله اعتراه الضعف

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

البشري الذي يعرض لكل إنسان أمام الطغاة، والجبابرة فقال:

﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [1] ـ فيجيبه الله بقوله: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [2].

ومن كان الله معه لا يضعف، ولا يهزم لأنه يعطيه من قوته، ويمده بالشجاعة التي يتضاءل أمامها كل طاغية جبار.

وكذلك صنع شيخ الأنبياء عندما أعلن في الوثنيين دعوة التوحيد دون مبالاة ـ وهو وحيد فريد ـ لا يجد من ينصره، أو يشد أزره: حتى أن والده وقف له بالمرصاد محارباً دعوته، عاقاً بنوته.. ولكن إبراهيم يسير في طريقه لا يلوي على شيء، ويعلن في الناس دعوته متحدياً كل من يتصدى له قائلاً:

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [3].

---

(1) سورة طه، الآية: ٤٥.

(2) سورة طه، الآية: ٤٦.

(3) سورة الأنعام، الآيات: ٧٩ ـ ٨٢.

ومحمد رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يُخَوَّفُ وهو وأصحابه في الله فما يخافون، بل لا يزيدهم ذلك التخويف إلا إيماناً إلى إيمانهم، ويقيناً إلى يقينهم.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[1].

ويثبتون على مبدئهم أمام العواصف الهوج:

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

٣ ـ واحتمال تبعات الحق مما يعمق جذوره، ويمكن له.

وهذه التبعات تقتضي الصبر، واحتمال الألم، واستعذاب العذاب، كما تقتضي التضحية بالنفس، والمال، والجهد، والوقت، والعرق، والدموع.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[1].

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[2].

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾[4].

نماذج حية:

هذه هي صفات رجال الحق، وسمات أصحاب الرسالة السامية في كل عصر، ومصر، وفي كل زمان، ومكان..

فبعرفان الحق، والاعتصام به، ورفع رايته، واحتمال تبعاته ـ انتصر وبلغ مداه.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

والتاريخ سجل حافل ببطولة هؤلاء الأبطال الذين رفعوا راية الحق، ونصبوا ألويته، وأقاموا أعلامه خفاقة في العالمين.

وقد عرض الله في كتابه نماذج كثيرة لهؤلاء الأبرار. مثل نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[١].

كما عرض نماذج لغير أنبياء الله، ورسله، لتكون أعلاماً هادية، وقدوة حسنة. نترسم خطاها، ونسير على هداها.

فمن ذلك: ما ذكره القرآن؛ ليكون نموذجاً أمام أنظارنا ـ قصة أهل الكهف.

﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[٢].

زادهم هدى، وبصيرة نفاذة.

هؤلاء الفتية فروا بدينهم من مجتمعهم الذي يعيشون فيه؛ لأنه مجتمع وثني منحط. لا يصلح لنفس كبيرة يمكن أن تستمد منه، وتنتفع به.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤٦، ١٤٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

فهؤلاء آثروا أن يهجروا هذا المجتمع، وأن يفروا منه إلى الله ﷻ فآووا إلى الكهف، وانتهوا إلى غار بعيد في الجبل، واعتزلوا قومهم، وما يعبدون من دون الله. فراراً بدينهم، وإيمانهم، ومثلهم، فهل تخلى الله عنهم؟

لا: لننظر إليهم وهم في الكهف:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (١).

هؤلاء الذين ارتفعوا بإيمانهم، وإنسانيتهم، ورفضوا أن يعيشوا في هذا المجتمع الكافر. نرى أن الله لم يتخل عنهم حينما أووا إلى كهفهم، فكانت الشمس إذا طلعت تميل عنهم حتى لا تؤذيهم، وإذا غربت مالت عنهم كذلك..، فالله سبحانه كان يرعاهم غاية الرعاية ـ وهم في هذا المأوى الموحش ـ.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ وهم في الغار ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (٢).

وكان الله ـ وحده ـ يقلبهم عن جنوبهم مرة بعد مرة. حتى لا تأكل الأرض أبدانهم.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (١).

فهم في الغار يحملون الإيمان، والنفوس الكبيرة، وكان الله يحميهم ويتولاهم، ولبثوا في كهفهم على هذه الحال.

﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ (٢).

ثلاث مائة عام وتسعة أعوام.. بعد هذا الوقت الطويل بعثهم الله، وأحياهم، فوجدوا الدنيا غير الدنيا، والناس غير الناس.. إيماناً بعد كفر، وتوحيداً بعد وثنية. لقد ذهبت كلمة الكفر وحاملوها، وبقيت كلمة الله، كلمة الحق الخالدة!

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ﴾ (٣).

ظنوا أنهم لبثوا يوماً، أو جزءاً من يوم.. وبعد التساؤل، والمحاورة قالوا لا نبحث في هذه القضية. ليذهب واحد منا. لينطلق إلى السوق؛ ليحضر لنا الطعام الطيب الزكي.

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (٤).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٩.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٩.

وظنوا أن الكفر هو الكفر:

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ﴾[1].

فجاء هؤلاء الذين آمنوا من بعد وقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فأقيم المسجد على هذا المكان الذي أوى إليه أهل الكهف.

والمسلم العاقل الذي يتخذ من هذا كله عظة وعبرة، ويجعل منها زاداً ليقوى على أعباء الجهاد الشاق، ويعلم بأن الله معه ما جاهد في الحق. سواء وجد في غار مظلم، أو في مكان مجهول؛ لأن القلب ما دام يحمل إيماناً بالله فليس يحجبه شيء.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

وبهذا الحق، والثبات عليه، والدعوة له، واحتمال تبعاته ـ انتصر المسلمون في بدر، وفي الخندق، وفي الحديبية، وفي الفتح، وفي جميع المعارك التي خاضوها ضد الفرس، والروم، وضد الصليبيين، والتتار، وضد الاستعمار.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

ولـم يكن ذلك الانتصار إلا مظهراً من مظاهر الشجاعة، والإيمان بالله، والثقة به، والاستمساك بالحق، والإصرار عليه.

وإذا كان الحق هو الأمر الثابت ـ فإن الإسلام هو أثبت على الزمن، وأخلد على الدهر، وأبقى على الأيام.

فجذوره تمتد امتداداً في الماضي البعيد، وستبقى ظلاله تمد الدنيا بالروح، والريحان. حتى يرث الله الأرض، ومن عليها.

قوة الخُلق

- الضعف الإنساني
- تقويم الخلق
- التربية الدينية
- عزة النفس
- الارتقاء الروحي

الضعف الإنساني

الإنسان جسد وروح:

الإنسان مكون من جسد وروح.

فبالجسد يتحرك، ويحس.

وبالروح يدرك، ويعي، ويفكر، ويعلم، ويريد، ويختار، ويحب، ويكره.

ولكل منهما مقومات ورغائب.

فمقومات البدن، ورغائبه ـ الطعام، والشراب، وغيرهما من الشهوات المادية واللذائذ الحسية.

ومقومات الروح، ورغائبها ـ الإيمان بالله، وتنفيذ وصاياه، والتخلق بالفضائل التي تسمو بالنفس، وتصل بها إلى الغاية من التأديب والتهذيب.

وبالروح تميز الإنسان عن غيره في هذا العالم، وصار عالماً وحده.

وبالروح أسجد الله للإنسان ملائكته، وسخر له ما في السموات، وما في الأرض جميعاً منه، وجعله سيد هذا الكون، وخليفة عنه في الأرض.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1].

إغفال الجانب الروحي:

ولكن الإنسان غفل عن هذا الجانب الروحي، وجهل مقوماته ورغائبه. واندفع وراء شهوات المادية، ولذائذه الحسية، اندفاعاً صرفه عن إصلاح نفسه وأخذها بالتربية والتقويم.

وكان من أثر ذلك أن بلغ شأواً بعيداً في الرفاهية المادية والنعم الظاهرة، وتخلف تخلفاً معيباً عن القيم الصالحة، والمعاني الإنسانية الرفيعة.

ولهذا جاء القرآن ينعى على الإنسان هذا الأسلوب الشائن، ويوجه نظره إلى أمراضه وعلله، ونقائصه ورذائله. ليتخلص منها، ويتنزه عنها... ويسلك السبيل القويم الجدير بالإنسان كخليفة عن الله في الأرض.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

أمراض النفس:

وما أكثر الآيات التي جاءت في القرآن الكريم لتعالج هذا النقص، وتنبه على ضرورة التخلص منه.

يقول الله سبحانه:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [1].

فالضعف طبيعة من طبائع النفس الإنسانية، فالإنسان لا يكاد يستقر على شيء، ولا يثبت على قاعدة، بل يستجيب للمؤثرات المتعارضة، ويتلون بألوان مختلفة، ويبدو بوجوه متعددة.

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [2].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [3].

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٣) سورة هود، الآيات: ٩ ـ ١١.

أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[2].

وهذه الآيات تكشف عن مدى عتو الإنسان، وتمرده على الله عند الرخاء، ومدى قلقه واستكانته عندما تنزل بساحته النكبات!!.

وهذا لون من ألوان الضعف النفسي.

ويقول: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3].

فهو كثير الظلم لنفسه، ولغيره. بالغ النهاية في الكفر بأنعم الله.

فهو لا يعدل، ولا يعرف الجميل لصاحب الجميل.

ويقول: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[4].

أي: أنه طائش العقل يتأثر على عجل دون تريث أو أناة،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١.

وأنه يطلب من الله الشر كما يطلب منه الخير، وهذا منتهى الحمق!!.

ويقول: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [1].

ما أوسع خزائن رحمة الله، وما أكثر ما أودع فيها من آلاء، ومع ذلك لو ملكها الإنسان لأمسك عن الإنفاق خشية نفاد ما فيها؛ لشح الإنسان، وبخله؛ إذ أن البخل جزء من كيانه!!.

ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [2].

والجدل مظهر من مظاهر مرض القلب بالشكوك والشبهات.

ويقول: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [3].

فهو ينسى ماضيه وحاضره، ويتنكر للحقائق الإلهية، ولا يتذكر آيات الله فيه وبراهينه في نفسه!!.

ويقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

الظلوم: هو الذي من شأنه أن يعدل، ولا يعدل.

الجهول: هو الذي من شأنه أن يعلم، ولا يعلم.

ويقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (1).

شديد الخصومة مجاهر بها.

ويقول: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ (2).

أي: سريع الجزع عند الشر، شديد المنع عند الخير، فهو لا يصبر في البلاء، ولا يشكر في الرخاء.

ويقول: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ (3).

أي: ما أشد كفر الإنسان؛ إذ إنه لم يؤد حق الله عليه، ولم يقض ما أمره الله به!!.

ويقول: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ (4).

---

(1) سورة يس، الآية: ٧٧.

(2) سورة المعارج، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

(3) سورة عبس، الآيات: ١٧ ـ ٢٣.

(4) سورة الفجر، الآيتان: ١٥، ١٦.

فالإنسان إذا ما ابتلاه ربه بالنعم ظن أن ذلك ضرب من التكريم، وإذا ضيق عليه في الرزق اعتقد أن ذلك نوع من الإهانة، والحقيقة أن الله سبحانه يبتلي بالرخاء والسعة، كما يبتلي بالبلاء والضيق؛ ليظهر ما تنطوي عليه نفس الإنسان من الشكر، والصبر.

ويقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

أي أن الله سبحانه خلق الإنسان في أصل فطرته سوياً لا عوج فيه، ولا انحراف..، ولكنه بعمله السيئ يخرج عن نظام الفطرة، فيرتكس إلى أسفل سافلين، ويتدلى تدلياً يصل به إلى أحط من مستوى الحيوان.

ويقول: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[2].

أي أن الإنسان يتجاوز الحد إذا رأى نفسه غنياً بما وهب الله له.

ويقول: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[3].

أي: أن الإنسان جحود لنعم الله، فلا يعترف بفضله عليه..، وأعماله، وأحواله تشهد عليه، وهو شره في حب المال.

---

(١) سورة التين، الآيات: ٣ ـ ٦.

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

(٣) سورة العاديات، الآيات: ٦ ـ ٨.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [1].

وهذه جملة الأمراض النفسية المستخلصة من الآيات المتقدمة:

الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والجحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة، والجهل، والغفلة، واللدد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والعناد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال، والافتتان بالدنيا.

ولا بد من معالجة النفس حتى تبرأ من هذه الأمراض جميعها، وتعود إليها الصحة والعافية، وتكون نفساً مطمئنة بالحق والخير، وفي ذلك فلاحها.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [2].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [3].

---

(١) سورة العصر، الآيات ١ ـ ٣.

(٢) سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٣) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾[1].

وإنما يتم العلاج عن طريق تقويم الخلق.

(١) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.



تقويم الخُلق

منزلة الخلق:

إن من أجل الغايات التي تريد الرسالة الإسلامية تحقيقها هي تلك الغاية الإنسانية السامية وهي:

أن يكون للإنسان خلق كريم، وسلوك نظيف يليق بكرامة الإنسان، ويتفق مع ما خلق له من خلافة عن الله في الأرض. وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة والعلماء والمصلحون ـ عبر قرون مضت، ولم يبلغوا فيها شأواً، أو يصلوا إلى تحقيق هذا الأمل المنشود.

وعناية الإسلام، وحرصه على تحقيق هذه الغاية الخلقية النبيلة يقصد بها: إيجاد عناصر قوية، وأفراد صالحين؛ كي يستطيعوا أن يسهموا بقلوبهم، وعقولهم في ترقية الحياة، وإعلائها.

وليكونوا أهلاً لجوار الله، ورضوانه فيما وراء هذه الحياة.

إن المثل الأعلى للأفراد: هو الشرف والنزاهة، والاستعلاء

على الهوى والشهوة، وعرفان الحق والواجب، والاستمساك بأهداب الفضيلة، والاندماج في جو روحي خالص بعيد عن نقائص المادة وشوائب الروح.

والمثل الأعلى للجماعة: هو التعاون، والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات، والمحبة والمودة، والصدق، والإخلاص، والأمانة، والوفاء، والتسامح، وسلامة الصدر.

وتحقيق المثل الأعلى في جانبيه يثمر الحياة الطيبة، ويحقق المجادة، والسيادة والقيادة، والتمكين في الأرض.

وهذه هي إرادة الإسلام بالنسبة للأفراد والجماعات. يقول الرسول ﷺ:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاَقِ».

وقد كان الرسول ﷺ صاحب هذه الرسالة في الذروة من الأدب العالي، والخلق العظيم. يقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [1].

وإنما كان ذلك كذلك؛ لأنه النموذج الخلقي الحي، والقدوة الطيبة للناس جميعاً.

وإنما اكتسب هذا الخلق بسبب التزامه وصايا القرآن، وتحويل هذه الوصايا إلى سلوك عملي.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

قالت: عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد سئلت عن خلق رسول الله ﷺ [كان خلقه القرآن].

ما هو الخلق؟

النفس منشأ الفعل ومصدره.

فإذا كانت صالحة كان العمل صالحاً، وإذا كانت فاسدة كان العمل فاسداً كذلك.

يقول الرسول ﷺ : **«إن في الجسد مضغة إذا صلحت صالح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب»**.

فإذا كانت النفس منشأ الفعل ومصدره فإن الفعل ترجمة وتعبير عما تنطوي عليه.

ولما كانت النفس غيباً لا علم للإنسان به ـ كان الحكم على الفعل المشاهد المنظور، وكان هذا الظاهر دليل الباطن، وعنواناً له.

فإذا كان الفعل في الظاهر حسناً ـ كان الحكم على الخلق بأنه حسن، وإذا كان الفعل في الظاهر سيئاً ـ كان الحكم على الخلق بأنه سيِّئ.

وهذا هو معنى قول علماء الأخلاق في تعريف الخلق: إنه حال نفسية تصدر عنها الأفعال بسهولة، فإن كانت الأفعال حسنة ـ كان الخلق حسناً، وإن كانت سيئة ـ كان الخلق سيئاً.

ضابط الفعل الحسن، والفعل السيِّئ:

والفعل الحسن هو الذي يوصف بأنه خير.

والفعل السيئ هو الذي يوصف بأنه شر.

والخير هو ما حبب الإسلام فيه ودعا إليه.

والشر هو ما حظره ونهى عنه.

وهذا مقياس صحيح تقاس به جميع الأفعال.

ويمتاز هذا المقياس بأنه من الله، وهو لذلك كان مقياساً ثابتاً لا يختلف باختلاف الأشخاص، ولا باختلاف الظروف، والأحوال، والبيئات. بخلاف غيره من المقاييس التي كانت مثار خلاف كبير بين العلماء والتي ذهبوا فيها كل مذهب، ولم ينتهوا فيها إلى شيء يمكن أن يعتمد عليه.

النفس وإرادة الخير:

والنفس من حيث إرادتها الخير لا توصف بأنها خيرة، أو شريرة في مرحلتها الأولى، وإنما هي قوة يمكن أن توجه إلى الخير، كما يمكن أن توجه إلى الشر.

يقول الله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[١].

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

وإن كان بعض الناس يغلب عليه الخير، وبعضهم يغلب عليه الشر، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة. خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. كما يقول الرسول ﷺ.

المنهج الخلقي:

وقد رسم الله المنهج الخلقي للبشر، وأوضح معالمه، ودعا إليه، وحبب فيه.

وهذا المنهج في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويمكن الرجوع إلى آية البر (١) في سورة البقرة، وآيات الوصايا في سورة الأنعام (٢)، والوصايا من سور الإسراء (٣)، وغير ذلك من الآيات التي وفت هذا الموضوع، وأفاضت فيه. وكلها تدور حول فعل الخير، وترك الشر (٤)، ولا يتحقق هذا المنهج إلا بالتربية الدينية.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ ... الآية.

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ... الآيات.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾... الآيات.

(٤) يراجع فصل: إعداد الفرد خلقياً في كتابنا «دعوة الإسلام».

التربية الدينية

الدين والضمير:

إن أمثل الوسائل في تقويم الأخلاق، وتهذيب السلوك هو الأخذ بالتربية الدينية؛ لأن الدين بما له من تأثير على النفوس، وسلطان على القلوب هو الذي يوقظ حواس الخير، ويوجه إلى المكارم، ويبعث على الفضائل، ويحيي الضمير.

والضمير كما يقول علماء الأخلاق: هو الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب - يحث على أداء الواجب، وينهى عن التقصير، ويحاسب بعد أداء العمل. مستريحاً للإحسان. مستنكراً للإساءة.

وهذه اليقظة الروحية هي حقيقة الإيمان وجوهره. وقد سئل رسول الله ﷺ عن علامة الإيمان فقال: «**إذا ساءتك سيئتك، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن**».

هذه اليقظة الروحية هي مظهر رضا الله وإرادته الخير بالإنسان. يقول الرسول ﷺ : «**إذا أراد الله بالعبد خيراً جعل له**

واعظاً من نفسه»[1].

والطبيعة الخيرة من شأنها أن تتجه هذا الاتجاه الخير، وتسعى إليه، وتحرص عليه، ويسوءها أن تنحرف عنه.

يقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: **«البر ما اطمأن إليه القلب، واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وكرهت أن يطلع عليه الناس»**.

وتربية الضمير تكتسب بالتعليم والمران منذ الحداثة، وممارسة الفضائل النفسية، وأداء الواجبات الدينية. سواء كانت شخصية، أم اجتماعية. ومن ثم يقول الرسول ﷺ : **«مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**.

ويقول: **«إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم»**.

أي: إنما يكتسب العلم والحلم بالدربة، وأخذ الأسباب إليهما.

وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن العبادة تجدد الإيمان، وتعصم من الانزلاق الخلقي، وتحفظ في اتباع الشهوات، وتباعد بين الإنسان ونفسه الأمارة بالسوء، وتبعث فيه الرغبة في التسامي، والشوق إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

هذا من جانب... والإسلام من جانب آخر يمدح الفضائل،

---

(١) رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد جيد.

ويعد عليها بحسن الجزاء. كما يذم الرذائل، ويتهدد مقترفيها بشر العواقب.

ثم هو يتخذ جميع الذرائع لغرس العدل والإنصاف، وإحياء فضيلة الإيثار وإنكار الذات، ويحبب إلى النفس المعاونة، والمؤازرة، والمحبة، والرحمة، والكرم، والإحسان، ويروضها على الصدق، والإخلاص، والأمانة، والوفاء.

وما من سبب من الأسباب التي تبعث على علو الهمة، والإباء، والقناعة، ومجانبة الريب، واحتمال الأذى من أجل الحق، والصبر على تبعاته إلا وله في تعاليم الإسلام مجال رحب، وميدان فسيح.

أثر الرأي العام في السلوك:

والنفوس الإنسانية ليست كلها مستعدة لأن تنهض بأعباء الفضائل، وتسير وفق قانون الأخلاق.

فمن الرجال جداول وجلامد

ومن النفوس حرائر وإماء

والإسلام يضع العلاج الناجع، والخطة المثلى؛ ليرعوي الجاهل عن جهله، ويرجع الشارد عن شروده. فهو يوجب على كل مسلم أن يطارد الرذيلة، ويقوم الاعوجاج ويغير المنكر، وينصب من نفسه رقيباً على كل شذوذ يتنافى مع العرف الصالح والأدب الرفيع.

يقول رسول الله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ويقول: «ما من نبي بعثه الله في أمة إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب. يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره. . . ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. . ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1] .

وهذه الرقابة تكون رأياً عاماً تكون له الهيمنة على المثل العليا، والقيم الفاضلة.

والرأي العام سياج منيع، وقوة لها وزنها في الحفاظ على العادات الحسنة، والتقاليد الصالحة.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾[2] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

العقوبة كعلاج:

وفي الوقت الذي يفرض فيه الإسلام الرقابة العامة على السلوك لا يغفل جانب القوة المادية، واستعمال العنف، والأخذ بالحسم، والضرب على أيدي العابثين بالقانون، والخارجين على النظام؛ فإن من الناس من لا ينفع فيهم إلا الشدة والقسوة.

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما

فليقس أحياناً على من يرحم

ومن ثم فهو يقرر لكل جريمة عقوبة ليستوفي المجرم جزاءه من ناحية، ويرتدع أمثاله من ناحية أخرى.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [1].

ففي جريمة القتل يوجب القصاص.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [2].

وفي الاعتداء على العرض بالزنا أو القذف يوجب الجلد:

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [3].

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ (١).

وفي جريمة السرقة يقول:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

وفي الحرابة أو السرقة الكبرى يقول:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (٣).

وفي غير هذه الجرائم يضع الإسلام الأصل العام الذي يرجع إليه الحاكم في تقدير العقوبة، وهذا الأصل هو المنصوص عليه في قول الله تعالى:

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٤ ـ ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [1].

وهذه العقوبة هو التي يعبر عنها في الفقه الإسلام بالتعزير.

وفي الوقت الذي يقرر فيه الإسلام العقوبة لا يفرضها فرضاً، ولا يجعلها حتمية، بل يفتح باب العفو عنها في غير الحدود قبل أن تصل إلى الحاكم؛ فقد يكون العفو أصلح لنفس الجاني من العقوبة:

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [2].

وفي الحديث: **«لأن يخطئ الحاكم في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»**.

عرض الواقع التاريخي:

وكثيراً ما يلفت الإسلام أنظار الناس إلى الواقع التاريخي للأمم السابقة؛ ليذكرهم بسنن الله في الاجتماع البشري، وأنه يستمتع بالحياة الطيبة ما أقام السنة الصالحة، فإذا جحد بها، وتنكر لها دمر الله عليه، وعذبه عذاباً نكرا.

وفي هذا التذكر العبرة النافعة، والعظة البالغة.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

الغاية من التربية الدينية:

والغاية من التربية الدينية أن تتهذب نفس الإنسان، وتتكامل، ليستطيع القيام بواجبه نحو الله ونحو أسرته، ونحو إخوانه في الإنسانية، وأن يقول الصدق، ويحكم بالحق، وينشر الخير بين الناس... وهذه هي درجة الصالحين التي يريدها الله للذين يتمسكون بالدين، ويحرصون عليه.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

مظاهر التربية:

وللتربية الدينية مظاهر تبدو في سلوك الفرد وتصرفاته، منها:

انتقاء اللفظ النظيف، والعبارة المهذبة حين الكلام. يقول الله تعالى:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.
(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.
(٣) سورة النمل، الآية: ١٩.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[1].

ومنها اتباع أهدى السبل، وأقوم المناهج، وأولاها بالحق في العمل. يقول الله تعالى:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[2].

والمتدين يصون قلبه من أن تعبث به الأهواء، ويتطلع دائماً إلى ما هو أرضى وأنقى وأتقى.

ومن مظاهر هذه التربية علو الهمة، وكبر النفس بحيث تترك الدون من شؤون الحياة، وتقتحم الصعاب في اكتساب الفضائل، والأخلاق العالية.

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

ومن مظاهرها قوة الإرادة والشجاعة الأدبية، بمعنى أن يتمرس المرء بالصبر والثبات والجلد، ويطارد الجزع واليأس، ويقول الحق دون أن يخشى في الله لوم اللائمين.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٧ ـ ١٨.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [1].

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على أن يقولوا الحق ولو كان مراً، وألا يخافوا في الله لومة لائم.

والإنسان الذي يتمرس بالتربية الدينية الصحيحة لا يعطل عقله، ولا مواهبه الفكرية. فلا يصدق الوهم، ولا يأخذ بالحدس والظن؛ لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً. وإنما يحكم العقل فيما يعرض عليه من مسائل العلم والكون والطبيعة والحياة؛ ليصل إلى العلم، وليبلغ اليقين.

وفي هذا يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [2].

أي: لا تقل علمت والحال أنك لم تعلم، ولا سمعت والحال أنك لم تسمع، ولا رأيت والحال أنك لم تر؛ لأن الله سبحانه سيسأل الإنسان من أين جاءه العلم عن كل ما رآه، وسمعه، وعلمه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وقد تصل التربية الدينية بالإنسان إلى حد الاستهانة بالحياة، والتضحية بالنفس وبكل شيء من أجل انتصار العقيدة، وإحقاق الحق.

عن أنس بن النضر أنه لم يشهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر، فشق ذلك عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ـ لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله ليرين الله تعالى ما أصنع.

فشهد مع رسول الله يوم أحد، فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو. واهاً لريح الجنة إني أجده دون أحد!!.

ثم قاتلهم حتى قتل ـ رضي الله عنه ـ فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية.

قالت أخته الرُّبَيِّع: فما عرفت أخي إلا ببنانه.

وفيه وفي أصحابه نزلت هذه الآية:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.



عزة النفس

عزة النفس، وإباء الضيم من أهم الفضائل العليا، والقيم الصالحة التي جاء بها الإسلام.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (1).

وعزة النفس تتجلى أول ما تتجلى في ابتغاء الخير، واتقاء الشر، والتشبث بالشرف، والتطلع إلى معالي الأمور، والتجرد عن الهوى، والتخلص من ربقة الشهوات، والتنزه عن الدنايا، واحتقار المظاهر الكاذبة، والجاه المزيف.

فهذه المعاني هي التي تسمو بالإنسان، وتصل به إلى المستوى الجدير به، وما عدا ذلك مما ينافيه فهو هبوط بالإنسان، وانحدار له عن مكانته الرفيعة.

ومن ثم يقول الرسول ﷺ:

«من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى

---

(1) سورة المنافقون، الآية: 8.

الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده».

وما شرفت النفس، ولا عزت بمثل اكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل. والله سبحانه يحب من عبده أن يكون عزيزاً كريماً بارتياده معالي الأمور وجلائل الفعال.

يقول الرسول ﷺ:

«إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سَفسافها».

ومن مظاهر الاعتزاز بالنفس: الانتصار للحق، ودفع الظلم، والغضب للإهانة، ومطاردتها بكل الطرق المشروعة، والذرائع المعقولة...

والشجاعة هي درع النفس العزيزة. تتقي بها كل الإهانات التي توجه للإنسان.

ومن مظاهر الشخصية القوية أن تتمرد على البغي، وتستعصي على العسف مهما أصابها من أذى.

يقول الإمام الشافعي وهو يعتز بنفسه، ويفاخر بشجاعته، وأنه لا يبالي بأي شيء من أجل احتفاظه بكرامته:

أنا إن عشت لست أعدم قوتا

وإن أنا مت لست أعدم قبرا

همتي همة الملوك، ونفسي

نفس حر ترى المذلة كفرا..!

ورسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يرى قبول الدنية والرضا بالهوان منافياً للإسلام فيقول:

«من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم، ومن رضي الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منّا».

والإسلام يخلق في الإنسان روح الشجاعة، والمقاتلة، ولو كان في ذلك ضياع الحياة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: **«يا رسول الله: أرأيت لو أن رجلاً جاء ليأخذ مالي؟! قال له: لا تعطه مالك. قال: أرأيت إن قاتلني؟! قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟! قال: فأنت في الجنة. قال: أرأيت إن قتلته؟! قال: هو في النار».**

وأرذل ما يوصف به الإنسان رذيلة الجبن؛ فإنها تهدر الكرامة، وتسقط القيمة، وتجعل من اتصف بها من سقط المتاع.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا
الأذلان غير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط بِرُمَّتِهِ
وذا يشق فلا يرثي له أحد

وإذا كثر الجبناء في أمة أصابها الله بالذل كنتيجة حتمية لهذا الخلق الذميم.

والذل هو طريق العبودية، والضعف، والهوان، بل طريق الموت، والفناء، والزوال.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [1].

والموت هنا ليس هو الموت المعروف، وإنما المقصود به: الموت الأدبي الذي يذهب بمجد الأمة وشرفها، وحريتها واستقلالها، والذي يمكن غيرها منها، فيسميها الخسف، ويذيقها لباس الجوع والخوف. كما أن الحياة هنا يقصد بها: إعادة القوة والعزة، والمجد والسؤدد.

وذلك أن الله سبحانه جعل من ذرية هؤلاء الجبناء قوة تأبى الضيم، وتتمرد على الذل، وتريد الحياة عزيزة كريمة، فنهضوا بالأعباء التي قصر في النهوض بها آباؤهم، وأسلافهم، فإذا الحياة الحرة الكريمة الجديدة بالأحرار تكتب لهم ليعيشوا أعزة كرماء.

وقد حكى الله لنا ـ كعبرة ودرس ـ قصة قوم موسى ـ حين طلب إليهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، فأبوا جبناً، وضعفاً، فحرمها الله عليهم، وعاقبهم بالتِّيه أربعين سنة، واعتبرهم فسقة خارجين عن دين الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (١).

ورسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رأى أن حياة أمته مرهونة بعزتها وشجاعتها، فإذا انسلخت من معاني الشرف والعزة ـ دمر الله عليها، وسلبها أسمى ما تعتز به أمة. يقول ﷺ :

«إذا هابت أمتي أن تقول للظالم: يا ظالم ـ فقد تُودِّعَ منهم».

أي استحقت أن يقال لها: الوداع.. الوداع.

وكما تتمثل العزة في شرف النفس، وفي مقاومة الظلم تتمثل كذلك في عدم تنازل المرء عن شيء من دينه، أو انتقاص شيء من حريته؛ فإن التنازل عن شيء من الدين ضلال وانحراف عن سبيل الله السوي..، والرضا بانتقاص شيء من الحرية والكرامة ذل وعبودية.

والضلال والعبودية كلاهما بغيض عند الله، وحرام في نظر الإسلام.

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢٠ ـ ٢٦.

ولهذا فإن الإسلام يوجب المقاومة إذا أكره الإنسان على أن يتنازل عن شيء من دينه وحريته. فإن لم يقو على المقاومة وجب عليه أن يهاجر إلى مكان يأمن فيه على دينه وحريته.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ١٠﴾[1].

فإذا رضي الإنسان بانتقاص دينه وحريته كان معرضاً لأقسى أنواع العذاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾[2].

وإنما كانت هجرة الأنبياء والرسل، والزعماء والمصلحين من أجل هذا المعنى، فقد رفضوا أن يتنازلوا عن شيء من مبادئهم وآرائهم، واستعذبوا العذاب والتشريد، في سبيل حريتهم وعقائدهم.

والإسلام يحبب في هذا، ويدعو إليه ـ ولو كان في ذلك القتل ـ يقول الرسولﷺ :

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٩٧ ـ ٩٩.

«من قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد».

وعزة النفس منزلة بين الكبر والضعة، فالأول: ترفع واستعلاء.

والثاني: مهانة ومذلة..، وكلاهما مقيت وبغيض. يقول الرسول ﷺ:

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إني أحب أن يكون ثوبي حسناً، ونعلي حسناً، أذلك من الكبر؟ قال: لا. إن الله جميل يحب الجمال.. الكبر بطر الحق وغمط الناس».

ويقول علي بن عبد العزيز:

يقولون لي فيك انقباض وإنما

رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهمو هان عندهم

ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولم أقض حق العلم إن كان كلما

بدا طمع صيرته لي سلما

وما كل برق لاح لي يستفزني

وما كل من لاقيت أرضاه منعما

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى

ولكن نفس الحر تحتمل الظما

أنهنهها عن بعض ما لا يشينها

مخافة أقوال العدا فيم أوْ لِمَ

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي

لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة

إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهمو

ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا

محياه بالأطماع حتى تجهما

الارتقاء الروحي

الارتقاء منه ما هو مادي، ومنه ما هو روحي.

فالارتقاء المادي يتمثل في الكشوف العلمية، واختراعات الآلة، وفي هذه الصناعات الكبرى والأنظمة والقوانين.

وهي وإن كانت عظيمة ومحكمة، ووفرت للناس بعض الرخاء والرفاهية المادية ـ فهي لا توصل إلى الله، ولا تصلح النفس الإنسانية، ولا ترحم الضعيف، ولا تحقق المحبة، ولا تجلب السلام، ولا تقضي على العداوة والبغضاء، ولا تصل بالإنسان إلى كماله المنشود.

إنها تجعل من الإنسان حيواناً راقياً، ولكنها لا تخلق منه إنساناً فاضلاً ـ كما يقول أحد الفلاسفة.

أما الارتقاء الروحي فهو غاية من الغايات التي يستهدفها الإسلام.

وهو يتجلى في الإيمان واليقين، والطيبة والسماحة، والمحبة والمودة، والرحمة والشفقة، والإيثار والتضحية، وإقرار السكينة في النفوس، والطمأنينة في القلوب، والعدل بين الناس، والسلام العام.

ومن أجل أن يتحقق الارتقاء الروحي كان لا بد من الإيمان بالله إيماناً يدفع الإنسان إلى الخير، ويجنبه الشر، ويحمله على أداء الواجب، ويمنعه من التقصير فيه.

وهذا هو الإيمان الذي أراده الإسلام.

وأي انحراف عنه فهو انحراف عن الإسلام نفسه، ومن ثم يقول الرسول ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صام، وصلى، وحج، واعتمر، وزعم أنه مسلم»**.

ويقول: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**.

والإيمان لا بد أن يتجسد، ويبرز في صور عملية، فليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل.

وقد زعم جماعة أن التمني يبلغ بالإنسان إلى الغاية، فأكذب الله هذا الزعم.

ورد على هؤلاء فقال:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

ثم بين طريق الخلاص، وأنه إسلام الوجه لله، وإحسان العمل فقال:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [1].

ورسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى، وأن ذلك هو العقل والكيْس، وأن ما عداه حماقة لا تليق بإنسان فيقول: **«الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»**.

قيل للحسن: إن قوماً يقولون: نحن نحب الله ويضيعون العمل. فقال: **«هيهات هيهات، تلك أمانيهم يتأرجحون فيها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه»**.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس

وليس العمل مجرد عمل، بل لا بد وأن يفرغ الإنسان روحه فيه، وأن يكون يقظاً حريصاً على انتهاز الفرص معنياً بالإصلاح والتقدم، وتوفير الوقت اللازم لذلك.

وقد كان الرسول ﷺ يقول: **«إذا أتى عليَّ يوم لم أزدد فيه علماً، ولم أزدد فيه هدى، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»**.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

ويدعو أمته إلى الحرص على كل نافع مادي وأدبي، وينهاهم عن العجز والكسل فيقول: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**.

ولما أنشد النابغة الجعدي قصيدته بين يدي رسول الله ﷺ ووصل إلى قوله:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال له الرسول: ما المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنة. قال: إن شاء الله.

والله سبحانه يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها، كما جاء في الحديث.

وحتى حين يدعو الإنسان، فمطلوب منه أن يعظم المسألة. يقول الرسول ﷺ :

«وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أعلى منازل الجنة».

وبهذا فتح الإسلام أبواب الأمل والعمل لمن يبتغي الوصول إلى أسمى ما قدر له من كمال.

وملاك ذلك كله ضبط النفس، ومجاهدتها حتى تستقيم على الصراط الذي يبلغ بها إلى الغاية.

فما لم تكن ثمة مجاهدة فليس الإنسان ببالغ شيء.

والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [1].

فمواهب الله لا تعطى جزافاً، ولا تهبط اعتباطاً، وإنما هي كفاء جهادٍ كريم، وتضحية غالية.

كذا المعالي إذا ما رمت تدركها
فاعبر إليها على جسر من التعب
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

والمجاهدة إنما هي ثمرة قوة الإرادة، والتمرس بالصبر، والثبات والجلد، وتحدي المثيرات، والتغلب على المغريات، والوقوف منها كالصخرة الصماء الراسخة أمام الرياح العاتية. يقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: **«ما يكون من خير فلن أدخره عنكم. . . ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله»**.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

فالعفة والغنى والصبر ثمرة الاستعفاف والاستغناء، والتصبر أي: مجاهدة النفس وحملها على الاتصاف بهذه الخلال الكريمة.

وقوام الإرادة القوية الطمع في رحمة الله، والخوف منه.

وغاية ذلك كله أن يصل الإنسان إلى المستوى الإنساني الرفيع، وأن يحقق إرادة الله فيه؛ ليندمج في عباد الله الصالحين الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

ولقد كانت غاية أنبياء الله أن يحققوا هذا الهدف الأعلى، ويصلوا إليه، فكانت أعمالهم وأقوالهم تتجه هذا الاتجاه.

يقول يوسف عليه السلام:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [1].

فلم يكتف بما أفاض الله عليه من نبوة وبما وهبه من علم، وبما أعطاه من ملك. وإنما طلب إلى ذلك كله أن ينتظم في سلك عباد الله الصالحين، وأن يلقى الله وهو مسلم.

ويقول سليمان عليه السلام:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وما أسمى ما يمكن أن يصل إليه إنسان.

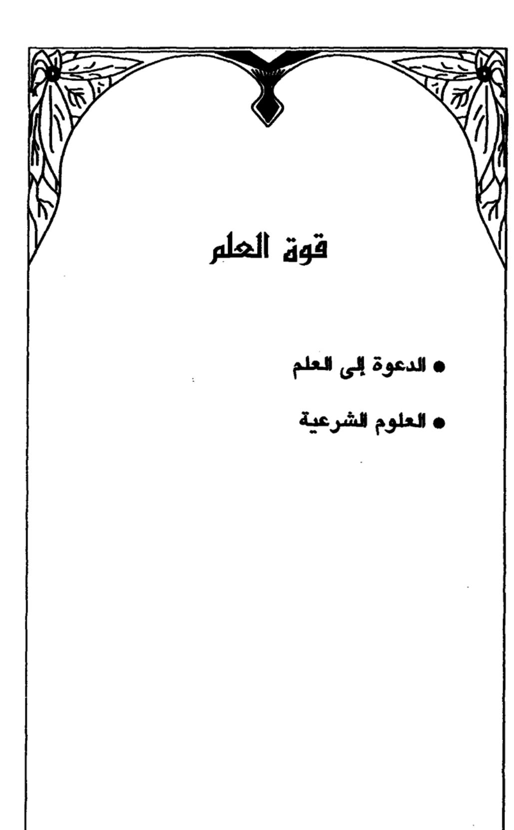
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٩.





قوة العلم

- الدعوة إلى العلم
- العلوم الشرعية

الدعوة إلى العلم

وسائل العلم*:

الإنسان حين يأتي إلى هذه الحياة يأتي مجرداً عن العلم والمعرفة وإن كان مزوداً بالاستعداد والقوى والأدوات التي يمكن بها أن يعلم ويعرف. يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

فالسمع والبصر والعقل هي الأدوات التي يكتسب بها الإنسان معلوماته. وهي المنافذ التي يطل منها على هذا الكون الفسيح؛ ليعرف أسراره، ويدرك شؤونه، وينتفع بما أودع فيه من بركات الله.

والذين لا ينتفعون بهذه الأدوات قد انسلخوا من إنسانيتهم،

(*) من كتابنا (دعوة الإسلام).

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

وانتظموا في عداد الحيوان؛ حيث فاتهم العلم كمقوم لشخصياتهم.

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

وأسباب العلم هي:

١ ـ القراءة.

٢ ـ النظر والتأمل في ملكوت الله.

٣ ـ السير في الأرض.

فهذه هي التي تمد الإنسان بالكثير من العلم الصحيح والمعرفة النافعة.

وكثيراً ما يلفت الإسلام إليها الأنظار، ويوجه لها العقول.

ففي القراءة يقول الله سبحانه:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾[2].

ويقول الله:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١).

وقد جعل الرسول ﷺ فكاك الأسير الذي لا يملك الفداء أن يعلم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة، وكان ذلك في غزوة بدر.

وفي النظر والتأمل يقول الله سبحانه:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

ويقول تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ (٣).

ويقول تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ (٤).

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ

---

(١) سورة القلم، الآية: ١.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (١).

وقد قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، ثم قال:

«ويل لمن قرأها، ولم يتفكر، ويل لمن قرأها، ولم يتفكر».

وفي السياحة والسير في الأرض يقول الله سبحانه:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (٢).

ويقول تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ (٣).

ولا يكتفي الإسلام بالإرشاد إلى أسباب العلم، ووضع المنهج الصحيح للوصول إلى الحقائق، ولكنه يدفع الإنسان دفعاً

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩، ٢٠.

إلى تحصيله، واكتسابه، والاستزادة منه، يقول الله سبحانه:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

وكان الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية يدعو الله فيقول:

«اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال».

وإنما يطلب الإنسان المزيد من العلم دون غيره من شؤون الدنيا، لأن من أوتي العلم، فقد جمع الخير من أطرافه.

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

والدنيا لا وزن لها بالقياس إلى العلم. يقول الرسول ﷺ:

«الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً، أو متعلماً»[3].

ولهذا السبب نفسه كان الحسد الذي هو بمعنى الغبطة،

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٣) رواه الترمذي وقال حسن.

وتمني مثل ما للغير مما يرحب به الإسلام في هذا الباب.

يقول الرسول ﷺ:

«لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هَلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها» (١).

ويقرر الإسلام أن غاية الرسالة الإسلامية هي تلاوة آيات الله على الناس، وتزكيتهم بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، وتعليمهم الكتاب والحكمة.

يقول الله سبحانه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

والعالم والجاهل لا يستويان، لا في المنزلة عند الله، ولا في الوجاهة عند الناس، ولا في فهم قيمة الحياة.

يقول الله سبحانه:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

فالعالم له قدره، ومنزلته، ومكانته:

يقول الله سبحانه:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ﴾ (١).

أما الجاهل فهو مطموس البصيرة، منقوص القدر.

يقول الله سبحانه:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

ومثلهما مثل البصير والأعمى، هل يستويان مثلاً؟.

يقول الله سبحانه:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (٣).

والذي لا يعرف للعالم قدره لا حق له في شرف الانتساب إلى هذا الدين. يقول الرسول ﷺ:

«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٩.

والله سبحانه يعتد بشهادة العلماء على أكبر حقيقة من الحقائق الإلهية، وينزلها المنزلة التي تلي شهادة الملائكة.

يقول الله سبحانه:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

ويضم ـ سبحانه وتعالى ـ إلى شهادته شهادتهم:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2].

والعلم هو ميراث النبوة، فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم تورث درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[3].

والساعي في تحصيل العلم واكتسابه مجاهد في سبيل الله، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

«من خرج ليطلب باباً من العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[1].

والعلماء الذين يحملون الخير للناس يستحقون كل إكبار وإجلال، وينالهم من عناية الله وبركاته ما لا يخطر على قلب بشر، فعن أبي أمامة أن الرسول ﷺ قال:

«إن الله، وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»[2].

وهم خلفاء النبوة الذين تحفهم الرحمة، وتغشى وجوههم النضارة. يقول الرسول ﷺ:

«رحم الله خلفائي، قالت الصحابة: ألسنا خلفاءك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإنما خلفائي الذين يأتون بعدي، ويتعلمون سنتي، ويعلمونها الناس».

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

«نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها كما سمعها، فرُبَّ مُبلِّغٍ أوعى من سامع»[3].

---

(١) رواه الترمذي قال: حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وطبيعة المؤمن التطلع إلى المزيد من العلم، وأنه نهم لا يشبع منه قط، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة» [1].

والإسلام إنما ينوه بالعلم، ويرفع من شأنه، ويدفع أهله إليه؛ لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والنافع والضار، فهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه بحال.

ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه.

وعلى قدر أخذ الأمم به يكون نهوضها الحضاري، ورقيها الصناعي، وازدهارها التجاري، ونموها الزراعي، واتساعها العمراني، فهو الذي يرقى بالحياة، ويجعلها وارفة الظلال جديرة بأن ينعم بها الإنسان، ويسعد، فعن معاذ ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة،

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن.

وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، ويرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة: تُقتفى آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه. يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»(١).

والعلم الذي يطلبه الإسلام هو:

الوحي: كتاباً وسنة، عقيدة وشريعة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ:

«العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة».

وفي العقيدة يقول الله سبحانه:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٢).

---

(١) رواه ابن عبد البر في كتاب العلم بإسناده إلى النبي ﷺ ورواه موقوفاً على معاذ رضي الله عنه.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

وفي الشريعة يقول الرسول ﷺ :

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

والعلم المفروض هو العلم الذي طلب العمل به، فالعلم بأحكام الصلاة فرض، ومعرفة الحلال والحرام فرض، وهكذا كل ما وجب عمله وجب العلم به.

وأية عبادة لا تبنى على علم ومعرفة فهي عبادة باطلة، لا تقبل بحال أبداً. فالله لم يعص بمعصية أشد من معصية الجهل.

وكان الإمام علي يقول: «قصم ظهري اثنان: جاهل متنسك، وعالم متهتك».

والعلوم المستمدة من الوحي هي: التفسير، والسنة، والسيرة، والتوحيد، والفقه والتاريخ الإسلامي، والنظم الإسلامية، والتصوف.

وما وراء ذلك من علوم الكون فهو مما يدعو إليه الإسلام، ويحث عليه؛ لتعرف سنن الله في الكون، وأسراره في الخلق، وحكمته في الوجود.

ودراسة العلوم الكونية والإنسانية لا تقل في أهميتها عن دراسة العلوم الشرعية، وهي علوم الطبيعة، والكيمياء، والفلك، والأحياء، والنبات، والنفس والاجتماع، والتاريخ العام.

ولنتدبر هذه الآيات التي يقولها الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ

بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ (١).

ويقول الله سبحانه:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (٢).

ويقول الله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٣).

والعلماء هنا هم العلماء بعلوم الكون من الماء والنبات والجبال والناس والدواب والحيوانات لا العلماء بالصلاة والصيام والزكاة والحج.

ويقول الله سبحانه:

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ

---

(١) سورة ق، الآيات: ٦ ـ ١١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ويقول الله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[2].

ويقول الله سبحانه:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾[3].

ويقول الله سبحانه:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[4].

ويقول الله سبحانه:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[5].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة الطارق، الآيات: ٥ ـ ٧.

(٤) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

أليس في هذه الآيات ما يقطع بأن تحصيل علوم الكون: من طبيعة وحياة ونبات، واجتماع، ونفس، وتاريخ، من لب الإسلام وصميمه؟.

وبالإضافة إلى هذا: إن الله سبحانه أخبر في أكثر من آية، أنه سبحانه سخر ما في السموات وما في الأرض جميعاً.

والتسخير هو التهيئة للانتفاع بها، وهل ينتفع بها، مع الجهل بها، والغفلة عنها؟.

إن الانتفاع بها لا يأتي عفواً، وإنما يتم بعد علم صحيح بوسائل الانتفاع وطرقه وأسبابه.

وأخيراً فإن علماء الإسلام قد اتفقوا على أن تعلم الفنون والعلوم التي تقوم بها الصناعات، والتي لا غنى للناس عنها ـ ولا سيما الفنون العسكرية ـ واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط الحرج والإثم عن الأمة كلها، وإذا أهمل أثم الكل وحوسبوا عليه الحساب العسير، وقد تبع العلماء في ذلك القاعدة العامة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وكل ما نلفت النظر إليه في دراسة هذه العلوم، أن يبرز ما فيها من سر ودلالة على عظمة الخالق، وقدرته، وحكمته.

أما العلوم الشرعية فإنه يحسن أن نلقي نظرة عابرة على دراسة كل منها.

العلوم الشرعية

دراسة التوحيد:

التوحيد ينتظم ما يأتي:

١ ـ الله: ذاته، وصفاته، وأفعاله.

٢ ـ النبوات، والرسالات.

٣ ـ الغيبيات.

٤ ـ اليوم الآخر.

وهذه الجوانب قد بينت في الكتاب، والسنة، بياناً شافياً، ولم يبق فيها زيادة لمستزيد.

ويجب علينا في دراستها أن نقتصر فيها على ما جاء في الكتاب والسنة، مع بيان أثرها في النفس والحياة.

ولا ينبغي أن تقتصر الدراسة على مجرد حشو الأذهان بهذه المعلومات. كما جرى عليه العمل منذ تحول التوحيد إلى قضايا منطقية، ومسائل فلسفية، ومناقشات كلامية جدلية، وإنما يجب أن

تكون دراسة التوحيد دراسة مكوِّنة للعقائد، ومربية للملكات، ودافعة إلى السمو، وجاعلة من الإنسان قوة إيجابية في الحياة.

لقد جنى المسلمون على أنفسهم جنايات خطيرة بانحرافهم عن هذا المنهج الدراسي الذي التزمه الرسول ﷺ، وربى به أصحابه، فجعل منهم ـ بعد الشرك والوثنية ـ قادة في الإصلاح، وأئمة للخير، وأعزة بالإيمان، وأقوياء بالحق.. من أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

لقد كانت تربية الرسول ﷺ للكتيبة الأولى بغرس عقيدة التوحيد في أنفسهم غرساً أثر ثماره في الجزيرة العربية، بل في آفاق الدنيا، ولا تزال خطة الرسول ﷺ هي الخطة المثلى التي لا يحل لنا أن نعدل عنها إلى غيرها؛ حتى تكون لنا العقائد الحقة التي تدفعنا إلى مجد الحياة، وشرف الآخرة.

دراسة التفسير:

إن القرون هو: كتاب الإسلام الأول، ودستوره الذي كشف عن حقائق الدين، ورسم مناهج الحياة للفرد، وللأسرة، وللجماعة، وللدولة، وهو الذي نهض بالأمة، ولا يزال قادراً على إمدادها بالحياة القوية، وهو وحده الذي يستطيع أن يهبها الروح الجديدة، والدم الجديد.

وليس هناك من علم يحل محل القرآن في تنوير العقل، وتطهير القلب، وتزكية النفس، وإحياء الضمير، وهداية الإنسان إلى

خالقه وبارئه، والسمو بالأمة إلى مكان الصدارة والقيادة، ومن ثم كانت دراسة القرآن من الأهمية بمكان.

وحتى تتم دراسته دراسة نافعة، لا بد من تعلم وتعليم اللغة العربية، وفنونها، وآدابها، تعلماً وتعليماً يوصل إلى تذوق الجمال الفني في القرآن الكريم.

ومع ذلك فلا غنى عن تفسير للقرآن يتميز بالسهولة، والبعد عن التعقيد.. كما يتميز بالكشف عن جمال القرآن، والإشارة إلى موضع العبرة فيه، ويمكن تلخيص المنهج لهذا التفسير فيما يلي [1]:

١ ـ لا يزيد حجم التفسير على مثلي حجم المصحف.

٢ ـ يكتب المصحف بأرقام الآيات في الصلب، ثم في أسفل الصفحة يكتب رقم الآية بجوار معناها، ويذكر المعنى مسلسلاً.

٣ ـ يكتب مقدمة لكل سورة تشمل الغرض العام لها.

٤ ـ لا يتعرض لأسباب النزول إلا إذا كان معنى الآية متوقفاً على ذكر السبب.

٥ ـ يذكر معنى الآية من غير تعرض لتحليل الألفاظ لغوياً.

---

(١) هذه توصيات لجنة التفسير التي ألفتها وزارة الأوقاف لوضع تفسير عصري مناسب وكنت أحد أعضائها.

٦ ـ لا يذكر من الأحكام الفقهية إلا ما يكون ثابتاً في نص الآية، وما زاد على ذلك يذكر الضروري منه في الهامش، أو في الأصل حسب ما يقتضيه المقام.

٧ ـ يختار من التفسير ما يدفع التعارض بين الآيات.

٨ ـ بالنسبة للمتشابه:

(أ) ما يقبل التفسير يلتزم فيه طريقة التفسير.

(ب) أوائل السور وهي حروف صوتية يكتفى بذكر حكمتها، وهي التنبيه إلى الإعجاز، والتنبيه إلى الاستماع.

٩ ـ الآية المتكررة تفسر كما هي في القرآن الكريم، مع بيان حكمة التكرار إذا اقتضى المقام ذلك.

١٠ ـ قصص القرآن يفسر كما جاء في القرآن مع ذكر العبرة بإيجاز، وذكر ما يحتاج إليه من تفصيل تاريخي، أو بيان لحقائق علمية، وكل ذلك بالهامش.

١١ ـ تفسر الآيات التي تتضمن حقائق علمية كما تدل عليها عبارات القرآن وتحقق الحقائق التي تشير إليها الآيات في الهامش.

دراسة السُّنة:

والسنة ـ وأعني بها: أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وتقريراته ـ هي المصدر الثاني الذي يلي القرآن في تبيان عقائد الإسلام،

وعباداته، وآدابه، وشرائعه، ومناهجه.

وهي بهذا المعنى تبين الكتاب الكريم، وتفسره كما أنها تستقل بتشريع الأحكام، وتنص على تحليل الحلال، وتحريم الحرام، مما لم يرد له في القرآن نص.

ولقد كان هذا مقرراً ومتفقاً عليه بين علماء السلف مما حملهم على أن يولوا السنة كل عنايتهم، وأن يتجرد جماعة منهم، ويقفوا حياتهم على جمعها، وتبويبها، وتمييز المقبول منها من المردود.

إلا أن هذه الجهود كانت جهوداً فردية، فلم يتح لكل من تصدى لهذا الأمر أن يبلغ الغاية، وإن كان مجموع ما خلفوه يعد ثروة ضخمة قل أن يوجد لها في العالم نظير.

لهذا كان من الضروري أن تؤلف لجنة يختار أفرادها من علماء السنة يعهد إليها:

١ ـ بجمع الأحاديث الصحيحة الموزعة في دواوين السنة.

٢ ـ وتبويبها تبويباً عصرياً.

٣ ـ تقوم بشرح هذه الأحاديث شرحاً سهلاً مبسطاً ملائماً للبيئة مع المحافظة على الدلالات الحقيقية للألفاظ العربية، ويستحسن أن يكون الشرح مدعوماً بالآيات القرآنية.

٤ ـ يوفق بين الأحاديث الظاهرة التعارض بقدر الإمكان.

٥ ـ يراعى في شراح الحديث التخصص، فعلماء العقائد يشرحون

الأحاديث المتعلقة بالإيمان وما يتعلق به، وعلماء الفقه يشرحون أحاديث الأحكام باختصار مع تجنب الخلاف إلا بالقدر الضروري.

وعلماء النفس والاجتماع يشرحون الأحاديث الخاصة بالتربية، والسلوك، والتهذيب، والفضائل، والرذائل. وعلماء الطب يشرحون أحاديث الطب النبوي.

وهكذا يقوم كل فريق من المتخصصين بشرح الأحاديث الداخلة في دائرة تخصصه.

وبهذا نكون قد نقينا السنة، وخلصناها من الأحاديث الموضوعة، والضعيفة التي شوهت جمال الإسلام، وحرفت تعاليمه.

كما أننا نكون قد قربناها من أفهام الجماهير مما يغريهم بقراءتها، والانتفاع بها، وهذا خير ما يخدم السنة، ويقدم للناس أجل تراث روحي تركه أعظم بشر عرفته الدنيا.

دراسة الفقه:

والفقه هو الذي يمثل الناحية العملية في الشريعة الإسلامية، وقد تحدثنا عن دراسته في مقدمة كتاب فقه السنة، والذي نريد أن نذكره الآن هو أن تعاد الكتابة فيه من جديد على طريقة فقه السنة في التزام النصوص الصحيحة فيما يتصل بالعبادات، والحلال والحرام، والحدود والقصاص.

ولا بد من البعد عن الخوض في المسائل والفروض التي لم تقع، ووزن القضايا التي لم يرد بها نص بميزان المصلحة والمفسدة، ووزن المشكلات المعاصرة بهذا الميزان.

ومثل هذا العمل الكبير يحتاج إلى تضافر جهود العلماء، والفقهاء الذين تخصصوا في دراسة الفقه، وتعمقوا في معرفة الشريعة، وفهم روحها.

ولا يترك ذلك للجهد الفردي؛ فإن الجهد الفردي مهما كان مبلغه فهو عرضة للخطأ.

وتشعب فروع المعرفة، وكثرة أعباء الحياة، لم تجعل الفرد قادراً على أن يقوم وحده بكبير عمل في هذا الجانب.

ولقد كان للاجتهاد الفردي آثار لا تزال الأمة تعاني منها، فاختلاف المذاهب والتعصب لكل مذهب، وتشعب هذا الخلاف، وهذا التعصب أدى إلى تفرق الأمة، وضعف الروابط التي تؤلف بينها، وتقوي من وحدتها.

وإننا نقترح أن يعمل المسؤولون على تكوين «مجمع للفقه الإسلامي» ونضم صوتنا بقوة إلى صوت المنادين بضرورة إنشاء هذا المجمع.

دراسة السيرة:

ورسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ليس إنساناً عادياً،

وإنما هو شخصية فذة امتازت بقوى بدنية وعقلية ونفسية وروحية، تكاد تكون خارقة للعادة.

وفضلاً عن ذلك، فإن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان المثل الأعلى في سلوكه الفردي، وفي قيامه بحق الله، وفي صلاته بأسرته وإخوانه وسائر أصدقائه ومعاشريه.

كما كان المثل الأعلى في فنائه في الحق، وتضحيته من أجله، ومواجهة الصعاب التي تعترضه بقوة وبسالة، وهو المثل الأعلى في حربه وسِلمه، وفي أحكامه وقضائه، في قيادته وسياسته، وفي زهده في الدنيا وعزوفه عنها.

فكان العابد المتبتل، والقاضي العادل، والسياسي المحنك، والهادي الرشيد، والأب الحاني، والمعلم البار، والقائد المظفر، والصديق الوفي، والزوج الرفيق، والنبي الصالح الذي لم يعرف الناس بشراً سبقه في كماله أو لحق به.

وهو بهذا كان القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة، والكمال المجسم، والنموذج المحتذى.

وكتابة السيرة يجب أن تبرز هذه العظمة في حياة رسول الله ﷺ.

إن حياته لم تكن حياة عادية، فيجب ألا تكتب سيرته كتابة عادية كما هو معروف لنا جميعاً.

إن علينا أن نكتب السيرة، ونبرز فيها جوانب الكمال، من

أجل أن تتحقق الغاية منها، وهي الاقتداء به في أقواله وأفعاله، وأخلاقه وآدابه، وحربه وسلمه؛ لنصل إلى المستوى الإنساني الرفيع بقدر ما في وسعنا.

النظم الإسلامية:

والإسلام نظام عام يتناول شؤون الحياة جميعاً، ففيه:

١ ـ النظام العبادي.

٢ ـ النظام الأسري.

٣ ـ النظام الاجتماعي.

٤ ـ النظام المدني.

٥ ـ النظام الجنائي.

٦ ـ النظام الاقتصادي.

٧ ـ النظام الإداري.

٨ ـ النظام السياسي.

وهذه النظم مأخوذة من الكتاب، والسنة، وأعمال الخلفاء الراشدين. كما أنها مستنبطة بواسطة اجتهاد الأئمة المجتهدين.

وهذه النظم لم تأخذ العهاية الكافية من حيث التبويب، والتنظيم، والفهرسة، فهي مع كثرتها ودقتها، موزعة بحيث يصعب على المتخصص الوصول إليها فضلاً عن غيره.

ولا محيص من تنظيم هذه الدراسات، وجمعها من مظانها،

وفهرستها، وإخراجها إخراجاً حديثاً، يتناسب مع أسلوب العصر، الذي نعيش فيه.

وهذه النظم تغني عن غيرها، ولا يغني غيرها عنها، بل إن فيها ما هو أسمى وأجلّ من أحدث النظم العالمية التي يفخر بها علماء الغرب المعاصرون.

ودراسة النظم الإسلامية لا تظهر روعتها ولا جدتها إلا بمقارنتها بغيرها من النظم، ولذا كانت الدراسة المقارنة هي الدراسة التي يجب أن نتجه إليها في دراستنا لهذه النظم.

التاريخ الإسلامي:

والتاريخ الإسلامي تراث الآباء، والأجداد، وميراث الأبطال، والأمجاد، وهو زاد ثقافي لم يتح مثله لأمة من الأمم.

وإن دراسته لم تلق العناية الجديرة بها، ولم يهتم بها اهتماماً يبرز حقائق التاريخ الإسلامي، ويوضح معالمه، ويكشف المستور منه.

ولهذا كان من الواجب أن تسلط الأضواء على هذا التراث العظيم، وأن توضع الخطة الدراسية، والمنهج الذي يحلل لنا هذه الدراسة، ويكشف لنا عن حضارة الإسلام، ومآثرها على العالم الإسلامي، وآثارها في الحضارة الغربية الحديثة وتفوقها عليها، ولا سيما تفوقها في الجانب الروحي، وبيان الأسباب التي أضعفت نشاطها وعطلت نماءها بعد سموق وازدهار.

ولا بد من معرفة كيفية العودة إلى إحياء هذه الحضارة من جديد، وبعث الحياة في هذا التراث الخامد.

دراسة التصوف:

التصوف علم من العلوم الإسلامية، وهو في حقيقة أمره روح الإسلام، وجوهره لأنه تصفية القلب وتطهيره من رجاساته عن غير الله وإخلاص العبودية له والتحرر من عبودية الجسد ونبذ الدنيا وهجر لذائذها والخشوع والصمت والتأمل. ولقد كان للتصوف يوماً ما صولة ودولة، وكانت له مكانته المرموقة في المجتمع الإسلامي إلا أنه كسائر العلوم الإسلامية أضيف إليه ما ليس منه، ودخل فيه رجال ليسوا من أهله، كالدجالين، والمخرفين، والفارغين، فوجدوا فيه مجالاً فسيحاً لدجلهم، وخرافاتهم، وشعوذتهم، فأساؤوا بذلك إليه أبلغ إساءة، وأصبح التصوف مظهراً من مظاهر الفقر، والجهل، والضعف، والتخاذل،والاستسلام، والفراغ من العمل، مما كان له الأثر السيِّئ في المجتمع الإسلامي.

ولا غنى عن الرجوع بالتصوف إلى خصائصه، وروحه النقية، وجوهره الحقيقي بعد أن نزيل عنه ما غشيه من بدع، وخرافة، وشعوذة، لا تمت إليه بصلة.

والعودة إلى نقائه وصفائه لا تجهدنا كثيراً إذا احتكمنا إلى الكتاب والسنة، ورجعنا إلى أئمة التصوف الذين يقتدى بهم، ويؤخذ عنهم.

وقد أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتأليف لجنة للنهوض بالطرق الصوفية، وكنت مقرراً لهذه اللجنة.

وقد كتبتُ تقريراً، وقدمته إلى اللجنة، فوافقت عليه، ورفع إلى الأستاذ الأكبر، فوافق عليه، وأمر بطبعه، ونشره، ومطالبة المسؤولين بتنفيذه.

وفيما يلي هذا التقرير:

١ ـ يوجد بالإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة ما يقرب من ستين طريقة ولكل طريقة شيخ ومريدون.

وهم يمثلون في تشكيلهم النظام الهرمي، إذ يبدأ هذا النظام بالمريدين الذين هم أتباع الطريقة، كقاعدة لهذا التشكيل، ويرأس كل طريقة شيخ، ويتولى الإشراف على هؤلاء الشيوخ المجلس الصوفي الأعلى، وعدد أعضائه أربعة ينتخبهم شيخ مشيخة الطرق الصوفية من بين ثمانية من مشايخ الطرق تنتخبهم جمعية عمومية مؤلفة من مشايخ الطرق، وتجري الانتخابات بمحافظة القاهرة برئاسة السيد المحافظ، وتتجدد الانتخابات كل ثلاث سنوات.

ويرأس هذا الجهاز كله شيخ مشيخة الطرق الذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية.

٢ ـ وهذه الطرق لها نفوذ واسع إذ يبلغ أتباعها عدة ملايين كما أن لها الأثر البعيد المدى في حياة هؤلاء المريدين وفي سلوكهم؛ فهي التي تملك توجيههم الوجهة التي تريدها بما

تلقنه لهم من تعاليم، وبما تبثه فيهم من أفكار، ثم أن هؤلاء المريدين يتقبلون هذه التوجيهات، ويحرصون عليها، وينفذونها بدقة، اعتقاداً منهم أنها تستوجب رضا الله، وبركات الشيخ، والفوز بسعادة الدنيا والآخرة. وهذه الاستجابة عامة في جميع أتباع الطرق الصوفية، فهي ليست قاصرة على فئة من الناس دون فئة، وإنما هي عامة، يستوي في ذلك العالم وغيره ممن لم يدرس علماً، أو يحظ بنصيب منه.

٣ ـ وكما أن الطرق الصوفية تحظى بقدر كبير من التقدير والاحترام، وتبسط سلطانها على عدد وفير من الأفراد داخل نطاق الجمهورية العربية المتحدة، فهي كذلك لها منزلتها ومكانتها خارج هذا النطاق في قارتي إفريقيا وآسيا، وهي التي يعزى لها الفضل في الوقوف ضد محاولات التبشير والاستعمار في هاتين القارتين، والمحافظة على بقايا التعاليم الإسلامية في الجهات النائية التي انقطعت صلتها بالأجزاء النشطة من العالم الإسلامي.

٤ ـ ومع أن لهذه الطرق هذه الآثار النافعة فإنه قد دخلها ـ مع طول العهد وفشو الجهل ـ الكثير مما يشوه جمالها، ويجعلها غير قادرة على مواصلة السير للوصول إلى غايتها المنشودة.

ومن أمثلة ذلك تفشي الأمية الدينية والاجتماعية بين مشايخ الطرق والخلفاء، مما ساعد على انتشار الخرافات والترهات والأباطيل التي تختلف كل الاختلاف عن المعقول السليم،

والمنقول الصحيح، ومبادئ المعرفة الإنسانية، ومنها: تقديس المشايخ وأرباب الطرق والاعتقاد فيهم إلى حد يشبه العبادة. ومنها: انتشار الآراء الباطلة والمعتقدات الفاسدة كاعتقاد أن الولي يملك الضر والنفع، وأنه يستطيع شفاء المرضى وإطالة العمر وتوسيع الرزق، وغفران الذنوب، وأن له من الجاه عند الله ما يستطيع به أن يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد، وأن البركة حلت بمسجده وضريحه، وأنه يصل إلى حد يسقط عنه فيه التكاليف الشرعية.

ومنها: ظهور المنتسبين إلى الطرق بمظهر كريه في الأحفال الدينية وحلقات الذكر والموالد كالإيقاع الموسيقي، وإنشاد قصائد الغزل، واختلاط الرجال بالنساء، والضرب بالسيف، ونحو ذلك من أكل الزجاج وابتلاع النار والحيات.

ومنها: شيوع الأفكار السيئة التي تشل حركة النشاط الإنساني من التواكل والكسل وأكل أموال السذج من العمال والفلاحين باسم الدين.

٥ ـ وهكذا نجد الأمثلة الكثيرة على مدى الانحراف الذي أصاب هذه الطرق الصوفية، والذي لا يقتصر ضرره على الأفراد المعتنقين لها والمؤمنين بها، وإنما يعم ضرره الأمة جميعها في عقولها وأفكارها وسلوكها وإنتاجها المادي والأدبي.

وفضلاً عن ذلك فإنه يظهر الإسلام بمظهر الدين الذي

يحتضن الخرافة ويبارك الجهالة، ويقدس السذاجة والتغفيل.

يضاف إلى هذه الأضرار الدينية والاجتماعية والمادية كنتيجة لهذا الانحراف ما يصيب سمعتنا، ويجرح كرامتنا أمام العالم الخارجي، ولا سيما وأن لنا من الخصوم من يحاول بكل وسيلة أن يظهرنا كجماعة متخلفة عن ركب الحضارة، وأننا غير جديرين بأخذ مكاننا تحت الشمس.

٦ ـ لهذا كله ولغيره مما لا يتسع المقام لذكره رأت اللجنة التي تم تكوينها حسب القرار رقم ٦١٤ بتاريخ ١٩٥٩/٤/٢٦ بشأن تأليف لجنة مشتركة من الأزهر ووزارة الأوقاف ووزارة الشؤون الاجتماعية ومشيخة الطرق الصوفية الذي أصدره فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ـ بعد أن عقدت أربع جلسات استعرضت فيها جميع الحالات واسترشدت فيها بتوجيهات فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، رأت اللجنة اتخاذ التوصيات الآتية:

١ ـ يوضع اختبار لمشايخ الطرق الصوفية والخلفاء الحاليين في المواد الآتية:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السيرة النبوية.

٣ ـ التوحيد.

٤ ـ التصوف.

٥ ـ فقه العبادات.

على أن يبقى في منصبه من يجتاز الاختبار وتترك فرصة كافية لمن لم يكن له استعداد كاف، أقصاها مدة عام. ويعزل عن المشيخة أو الخلافة من تثبت عدم صلاحيته.

ويقوم بهذا الاختبار لجنة مكونة من علماء الأزهر وعلماء التصوف، يختارهم فضيلة وكيل الجامع الأزهر وسماحة شيخ الطرق، ويصدق على اختيارهم فضيلة الأستاذ الأكبر.

٢ ـ يعد للمشايخ والخلفاء برنامج تدريبي يزودون فيه بالأصول الصحيحة للتصوف الحقيقي، وبالخطط التوجيهية التي تعينهم على النهوض بواجباتهم وأدائها خير أداء.

ويقوم بوضع البرنامج التدريبي مدير الثقافة الإسلامية مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية، وينفذ هذا البرنامج نخبة من العلماء الفاقهين لمثل هذه الموضوعات، ويعتمد ذلك كله فضيلة الأستاذ الأكبر.

٣ ـ توضع شروط خاصة لمن يتولى أي منصب رئيسي من هذه المناصب من حيث الاستمتاع بالسمعة الطيبة والسلوك المهذب. وتقديم صحيفة السوابق. ويُقدَّم من له نشاط اجتماعي أو ديني ملحوظ. مع مراعاة عدم الاستخلاف بطريق الوراثة، وكذلك تراعى الحالة المالية لضمان عدم الاستغلال بقدر الإمكان.

٤ ـ أخذ التعهد على كل من يتولى عملاً من أعمال التصوف بمراعاة القواعد الشرعية، ووضع جزاءات للمخالفات التي تصدر عنهم منعاً للمنكرات التي تقع في الحضرة، وحلقات الذكر، وحفلات الموالد.

٥ ـ وضع خطة لاشتراك المشايخ والمريدين في الخدمات العامة في المناطق المقيمين بها والتي يمكنهم الإسهام فيها، وافتتاح فصول لمحو أمية المريدين وتدريس التصوف الإسلامي الصحيح، وشغل أوقات الفراغ بالنافع من العلم والعمل، كالنشاط الديني، والاجتماعي، والصحي، وتنمية الوعي القومي في القرية.

٦ ـ تحديد اختصاص الجهاز الإداري على مختلف المستويات المحلية والإقليمية والقومية، على أن تراعى الأسس الإدارية السليمة مع ضمان الإشراف الدقيق على الأعمال التي يقوم بها رجال الطرق على اختلاف درجاتهم بما يضمن تطبيق ما جاء باللائحة الداخلية للطرق الصوفية، وما يوضع من مواد للنهوض بها.

ونظراً لأنه يجري الآن تعديل اللائحة، ويلزم أن تتضمن الكثير من هذه التوصيات، نقترح تمثيل الأزهر، ووزارة الشؤون الاجتماعية في لجنة تعديل اللائحة بعضوين، أو عرض اللائحة بعد التعديل، ليبدي الأزهر رأيه فيها باعتبار أن الأزهر هو الجهة المختصة بالإشراف على مثل هذا حسب ما جاء في المادة

السادسة من قانون الأزهر.

٧ ـ تمثيل الأزهر في المجلس الصوفي الأعلى بعضوين يختارهما فضيلة الشيخ الأكبر.

٨ ـ يوضع نظام للاحتفاظ بحصيلة صناديق النذور، والصرف منها على الخدمات والمصالح العامة، وتوزيعها على المستحقين من غير الموظفين.

٩ ـ بحث إدماج الطرق المتشابهة بعضها في بعض.

١٠ ـ استغلال التجمعات للدعاية الدينية والاجتماعية، ونشر الوعي القومي والثقافي والصحي.

١١ ـ تنفذ التوصيات التي أقرتها اللجنة المشكلة من وزارة الشؤون الاجتماعية والأزهر والداخلية ومشيخة الطرق الصوفية والهيئات المعنية بهذا الشأن.

ونظراً لأن كثيراً من العادات السيئة المنتشرة في الموالد مصدرها عدم الدقة في رعاية الأصول الشرعية ينبغي أن يضع القائمون بالأمر من أهل الطرق من القواعد التنظيمية ما يضمن عدم حدوث مخالفات لهذه الأصول.

١٢ ـ التشدد في تطبيق النصوص التشريعية المتصلة بجرائم الاحتيال، وكتابة التمائم، والعزائم، ونشر الدجل والشعوذة.

وقد جاء في قانون العقوبات المصري مادة ٣٣٦ ما يمكن أن يتخذ أساساً لمعاقبة من يحتال للاستيلاء على الأموال أو

غيرها بطرق احتيالية، ونصها:

«ويعاقب بالحبس وبغرامة لا تتجاوز الخمسين جنيهاً مصرياً أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط، كل من توصل للاستيلاء على نقود، أو عروض أو سندات دين، أو سندات مخالصة، أو أي متاع منقول، وكان ذلك بالاحتيال لسلب كل ثروة الغير أو بعضها إما باستعمال طرق احتيالية من إيهام الناس بوجود مشروع كاذب، أو واقعة ضرورة، أو إحداث الأمل، بحصول ربح وهمي، أو تسديد المبلغ الذي أخذ بطريق الاحتيال. أو إيهامهم بوجود سند دين غير صحيح أو سند مخالصة مزور وإما بالتصرف في مال ثابت أو منقول ليس ملكاً له ولا له حق التصرف فيه، وإما باتخاذ اسم كاذب أو صفة غير صحيحة.

أما من شرع في النصب، ولم يتمه، فيعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة، أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً.

ويجوز جعل الجاني في حالة العود تحت ملاحظة البوليس مدة سنة على الأقل وسنتين على الأكثر.

١٣ ـ تأليف رسائل مبسطة لبيان حكم الإسلام في الموضوعات الآتية ونشرها:

(١) التصوف: معناه ـ تطوره ـ رجاله ـ فلسفته.

(٢) ما معنى الشريعة، والحقيقة؟ وهل بينهما فرق؟

(٣) من هو الولي؟ وما هي الكرامة؟ وما معنى المقام؟

والحال؟ والاتحاد؟ والحلول؟

(٤) ما هي الطرق؟ ومن رجالها؟ ومن هو القطب والغوث والخضر؟ ومن هم أهل الله؟ وأصحاب الديوان؟... الخ.

(٥) ما هو الذكر الشرعي وكيفيته؟

(٦) ما معنى التوسل الصحيح وكيفية الدعاء؟

(٧) حكم النذور.

(٨) الزيارة الشرعية للأضرحة وحكم السفر إليها.

(٩) الموالد، حكم إقامتها، من أنشأها؟.

(١٠) أدب دخول المساجد والمكث بها والنوم فيها.

١٤ ـ على كل هيئة من الهيئات المسؤولة مثل: الصحف، والإذاعة، والوعاظ، وأئمة المساجد، ورجال الإفتاء، ووزارة الشؤون الاجتماعية والداخلية وعلماء الأزهر أن تسهم في هذا الأمر، وتقوم بدور إيجابي في رعايته.

١٥ ـ مراجعة الكتب التي تتضمن المسائل الصوفية، ومصادرة ما ينافي التعاليم الدينية منها.



قوة الاقتصاد

- قيمة المال
- كسبه وتحصيله
- الملكية وظيفة اجتماعية
- علاقة المالك بالمال
- الاهتمام بالطبقات الفقيرة



قيمة المال

الإسلام ينظر إلى المال على أنه عصب الحياة، وقوامها، وضرورة من ضروراتها، لا تستغني عنه الأفراد، ولا الجماعات.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [1].

وقد سماه الله خيراً.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [2].

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [3].

وسماه الله فضلاً:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [4] أي اطلبوا المال.

---

(1) سورة النساء، الآية: ٥.

(2) سورة العاديات، الآية: ٨.

(3) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(4) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

وجعله سبحانه زينة.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1].

وأضافه إلى نفسه فقال:

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2].

ونوه الله ـ سبحانه وتعالى ـ، بالثروة الحيوانية فقال:

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾[3].

كما نوه بالثروة النباتية فقال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[4].

وكذلك بالثروة المائية فقال:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النحل، الآيات: ٥ ـ ٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾[1].

(١) سورة النحل، الآية: ١٤.



كسبه وتحصيله

وإذا كان المال بهذه المثابة، وله هذه المكانة الرفيعة، فإن على الإنسان أن يسعى في كسبه، ويجد في تحصيله بالضرب في الأرض، والمشي في مناكبها. يقول الله سبحانه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ (١).

وعلى المصلين أن ينصرفوا إلى العمل بعد الفراغ من الصلاة.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (٢).

وقد تحرج بعض الصحابة من ممارسة التجارة أثناء أداء فريضة الحج، فأنزل الله ﷻ:

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1].

والسعي في الأرض ابتغاء الرزق أحد الأسباب في تخفيف قيام الليل عن المسلمين في العهد الأول.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2].

ورسول الله يبين أن محبة الله تتحقق للمؤمن الذي يحترف لنفسه، فيعمل، ويكتسب... كما أن غفرانه سبحانه يمسح أوزاره.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«إن الله يحب المؤمن المحترف»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أمسى كالاً[4] من عمل يده أمسى مغفوراً له»**[5].

كما يبين أن أفضل أنواع الكسب عمل الرجل بيده...

فعن رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله: أي الكسب أفضل؟ قال: **«عمل الرجل بيده. وكل بيع مبروراً»**[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي.

(٤) كالا: متعباً.

(٥) رواه الطبراني والبيهقي.

(٦) البيع المبرور: لا يخالطه غش ولا خيانة ولا لبس. رواه أحمد البزار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحداً، فيعطيه أو يمنعه»[1].

ويقول: **«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»**.

ومن يبذل طاقته، ويكد، ويكدح، فكده وكدحه في سبيل الله وهو صدقة ما بقي نفعه.

عن كعب بن عمرة قال: مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟. فقال رسول الله ﷺ:

«إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله.

وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[2].

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

«ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير، أو إنسان، إلا كان له به صدقة»[1].

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال:

«سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره، وهو بعد موته: من علم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورَّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»[2].

وكان رسول الله يرشد أصحابه إلى ما يجب عليهم من الاتجاه إلى العمل.

فعن أنس رضي الله عنه: (أن رجلاً من أنصار أتى النبيﷺ فسأله، فقال:

أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء.

قال: ائتني بهما، فأتاه بهما. فأخذهما رسول اللهﷺ بيده وقال: من يشتري هذين؟

قال رجل: أنا آخذهما بدرهم.

قال رسول اللهﷺ : «من يزيد على درهم - مرتين أو ثلاثاً».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البزار والبيهقي وأبو نعيم.

قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين. وأعطاهما الأنصاري.

وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به. فأتاه به، فشد فيه رسول الله عوداً بيده، ثم قال اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً. ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً.

فقال له رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة»[1].

ومن أبلغ ما ورد في ذلك ما قاله الرسول ﷺ:

«من طلب الدنيا حلال استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، وتعطفاً على جاره، بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلبها حراماً، مكابراً بها، مفاخراً، لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان».

والإسلام يشجع على تعمير الأرض، التي لا مالك لها فهو لذلك يملكها لمن يقوى على تعميرها وإصلاحها بتشجيرها أو زراعتها أو البناء عليها. فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها»[2].

---

(١) رواه أبو داود واللفظ له والنسائي والترمذي. وقال حديث حسن.

(٢) رواه البخاري.

ويقول: «**من أحيا مواتاً فهو له**».

ويقول: «**التمسوا الرزق من خبايا الأرض**».

ومن حق الحاكم أن يعطي بعض هذه الأرض لمن يحسن القيام عليها تشجيعاً لإحيائها وعمرانها، فقد أعطى النبي ﷺ أرضاً مفتوحة، وفعل أصحابه كذلك، ويشترط لذلك قدرة المالك على التعمير. كما يشترط أن يقوم بعمارتها، فقد أقطع الرسول بلالاً بن الحارث المزني وادي العقيق كله، فلم يستطع عمارته، ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة قال: يا بلال. إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضاً طويلة عريضة، فقطعها لك، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله، وأنت لا تطيق ما في يديك. فقال: أجل. فقال: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه. وما لم تطق، وما لم تقو عليه، فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين. فقال: لا أفعل والله شيئاً أقطعنيه رسول الله ﷺ: فقال عمر: والله لتفعلن. فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين. ويشترط أن يستثمرها خلال مدة ثلاث سنين من تاريخ وضع يده عليها فإن لم يفعل سقط حق ملكيتها. يقول الرسول: «**عادي الأرض لله ولرسوله ثم لكم من بعد فمن أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنوات**» والإسلام كذلك يشجع على استخراج ما في باطن الأرض الركاز وكذلك الصيد من البر والبحر.

والإسلام كذلك يشجع على التجارة.

فعن أبي سعيد: يقول الرسول ﷺ:

«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء»[1].

وقال عثمان لابنه: يا بنيّ استعن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابته ثلاث خصال:

رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته. وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به.

قال أبو سليمان الداراني: ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما، ثم تعبد.

شروط الكسب:

وهكذا يدعو الإسلام إلى الكسب والتحصيل، سواء أكان ذلك عن طريق الزراعة، أم الصناعة، أم التجارة، أم أي وسيلة من الوسائل المشروعة.

وكل ما شرطه الإسلام فيما يتصل بالكسب شرطان:

الأول: ألا يلهي عن حق الله، وأن لا يصرف عن القيم الخلقية الصالحة:

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

وأثنى على من لم يشغله شيء من ذلك عن الله، ولا عن طاعته، فقال:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2].

بينما عتب على جماعة تركوا رسول الله ﷺ يخطب الجمعة فانصرفوا إلى تجارة، حضرت إلى المدينة، فقال:

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[3].

الثاني: أن يكون الكسب عن طريق مشروع؛ كي لا يضار الأفراد، ولا الجماعات، ولا يخل بالقانون العام.

ومن ثم فقد حرّم الإسلام كل ما فيه ضرر بالفرد، أو بالمجموع، أو كان مخلاً بالقانون العام للدولة..

فمن ذلك:

١ - **الربا**: لأنه استغلال لجهد الآخرين، فضلاً عن أنه يتنافى مع روح التعاون والتضامن:

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ١١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [1].

٢ ـ الاحتكار: وهو حبس أقوات الناس، وحاجاتهم الضرورية.

وهو وإن اقتصر نفعه على الأفراد المحتكرين فإنه يضر الجماعة، ويهدر حرية التجارة والصناعة، والمحتكر يحدد السعر الذي يشبع مطامعه دون مبالاة بالضرر الواقع على الغير. ولذلك يقول الرسول ﷺ:

«لا يحتكر إلا خاطئ» [2].

٣ ـ القمار والاتجار بالمخدرات: وهذا من شأنه أن يستنفد الطاقات البشرية، ويقضي على القوى العاملة.

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [3].

٤ ـ تطفيف المكاييل والتلاعب بالموازين:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي. والخاطئ: الآثم.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٤) سورة المطففين، الآيات: ١ ـ ٥.

٥ ـ السرقة:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

٦ ـ أكل أموال الناس بالباطل:

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ (٢).

والباطل يتناول الغصب، والنهب، والتدليس، والغش، والرشوة.

وذلك كله مناف للخلق الكريم، وجالب للضرر بالآخرين، وسبب من أسباب اضطراب الأمن العام، فضلاً عنه أنه كسب من غير جهد.

والرسول ﷺ يقول: **«من غشنا فليس منّا»** (٣).

ويقول: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا، وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتما، وكذبا، محقت بركة بيعهما»** (٤).

ويقول: **«الراشي والمرتشي في النار»**.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

ويقول: «من اقتطع حَقَّ امرئ مُسْلِمٍ بيمينه، أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة. فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك».

حفظ المال وتنمية الثروة:

إن الإسلام ـ كما يبدو ـ يحرص على كسب المال وتحصيله، ولا يمنع من أي سبب من أسباب الكسب المشروع، وهو مع ذلك يوجب المحافظة على المال حتى لا تتبدد الثروة في غير طائل.

إن المحافظة على الثروة من الضياع، باستغلالها، وتنميتها، وحمايتها، لهو واجب إسلامي. إذ أن إضاعة المال توجب أكبر الضرر للأفراد والجماعات.

يقول الرسول ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم. ويكره لكم القيل والقال. وكثرة السؤال. وإضاعة المال».**

ومن أجل حماية الثروة، وحفظ المال، شرع الإسلام ما يأتي:

(أ) الحجر على السفهاء الذين لا يضعون المال موضعه، ولا يحسنون التصرف فيه، والقيام عليه، بتثميره وتنميته.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا

وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [1].

(ب) اختبار اليتامى بعد البلوغ قبل تسليمهم أموالهم، فإن كانوا راشدين أي قادرين على حفظها، سلمت إليهم، وإلا منعوا من تسليمها لهم.

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [2].

(جـ) كتابة الدين والرهن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [3].

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [4].

(د) تحريم الترف والسرف. والدعوة إلى القصد والاعتدال.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [5].

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٥) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[2].

وقد جاء في الحديث:

«ما عَالَ[3] من اقتصد».

«التدبير نصف المعيشة».

«إن محمداً وأهله، أول من يجوعون إذا جاع الناس. وآخر من يشبعون إذا شبع الناس...».

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٣) عال: افتقر.



الملكية وظيفة اجتماعية

الإسلام والملكية الفردية:

الملكية هي الانتفاع بالعين المملوكة انتفاعاً شرعياً بإذن من الشارع. وأسبابها هي:

١ ـ العقود الناقلة للملكية من حيِّز إلى حيِّز.

٢ ـ إحياء الموات.

٣ ـ العمل.

٤ ـ الحاجة إلى المال من أجل الحياة.

٥ ـ إعطاء الدولة من أموالها للمواطنين لسد حاجتهم أو انتفاع الأمة بنشاطهم.

٦ ـ الإرث. صلة الأفراد بعضهم ببعض، كالهبة والهدية والصدقة والوصية.

يتبين مما تقدم أن الإسلام أقر الملكية الفردية واحترمها، لأنها تعتبر من الحوافز المنشطة، فضلاً عن أنها فطرية، وما كان

للإسلام أن يتجاهل الفطرة، أو يتغاضى عن الحوافز المنشطة، وهو يرى أن المال قوام الحياة.

وهذا يتماشى مع منطق الإسلام الذي يعطي كل ذي حق حقه، ومن العدالة أن يملك العامل ثمرة كده، ونتاج كدحه وسعيه.. وفيه احترام الشخصية الإنسانية.

والملكية مقيدة بحدود الشرع، بدليل أن المالك يحجر عليه إذا أسرف أو تصرف تصرفاً غير شرعي.

إلا أن الإسلام من جانب آخر يتقي شرور الملكية الفردية، وتكديس الثروة في أيدي الأقلية، ويجعل الملكية وظيفة اجتماعية، فجعل فيها حقوقاً من جهة، وقضى على أضرارها بتحويلها إلى ملكيات صغيرة من جهة أخرى، عن طريق الميراث والهبة، والوصية، وفي الوقت نفسه قرب بين الطبقات، وقلل الفوارق الاجتماعية التي كانت ولا تزال مثار نزاع واضطراب في المجتمع البشري.

الحقوق الواجبة في المال:

فمن هذه الحقوق ما يجب للمالك نفسه، ومنها ما يجب في ماله لغيره، ومنها ما يجب عليه نحو أمته.

حق المالك في مال نفسه:

للمالك حق في ماله، فيبدأ بالإنفاق منه على نفسه، وعلى

من تلزمه نفقته من أبنائه، وزوجته، وأقاربه.

وتشمل النفقة، الغذاء، والكساء، والسكنى، والتربية والتعليم، والعلاج، وكل ما هو من ضرورات المعيشة.

حديث فقه السنة في هذا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال يوماً لأصحابه: «**تصدقوا، فقال رجل يا رسول الله: عندي دينار، قال: أنفقه على نفسك. قال: إن عندي آخر. قال أنفقه على زوجتك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على ولدك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على خادمك. قال: عندي آخر. قال: أنت أبصر به**».

وكل ما اشترط الإسلام في هذه النفقة الاعتدال، والقصد، فلا يسرف، ولا يبخل، فإن كلاً منهما ضار.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[1].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[2].

فالله سبحانه ينهى عن البخل، ويصور حال البخيل بحال من

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

شدت يده إلى عنقه، وربطت به، فلا تنبسط بخير..، وينهى عن الإسراف، ويصور حال المسرف بحال من بسطت يده، فلا تمسك شيئاً.

إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

والبخل يعرض البخيل إلى ذم الناس، ومقتهم. قل من حرم زينة الله. والإسراف يعرض المسرف إلى الندم والحسرة. كلوا واشربوا: ولا تؤتوا السفهاء.

حق الغير:

وحق الغير في المال يتفرع إلى عدة حقوق.

(أ) الحق الأول، حق الزكاة وهذا الحق مفروض في أصناف معينة. وقد جعل الله هذا الحق مواساة للفقراء، ومعاونة لذوي الحاجات، وتقوية لأواصر المودة بين الأغنياء والفقراء، وتقريباً للفوارق بين الطبقات، ومعالجة لأخطار الفقر الذي يعتبر أخطر شيء يهدد كيان الأمة.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

أي أن الزكاة تطهر القلوب، وتزكي النفوس.

فتطهر نفوس الأغنياء من الشح والبخل، ونفوس الفقراء من البغضاء، والحقد، والكراهية.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(ب) ما يجب على الإنسان نحو إخوانه، وأصدقائه، وجيرانه، وضيوفه مما توجبه المروءة، وتقتضيه الأريحية، ويستحق به أن يعد في الكرام الأسخياء.

حق الجوار:

روي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال:

«من أغلق بابه، دون جاره، مخافة على أهله، وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه.

أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته. وإذا مات، اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها! وإذا اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يدخل بها ولدك ليغيظ بها ولده» ..[1].

وعن مجاهد: **«أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ذبحت له شاة في أهله. فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زال**

---

(١) رواه الخرائطي.

جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [1].

عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم» [2].

حق الضيافة:

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

«دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟ قلت. بلى. قال: فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً. وإن لزورك [3] عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً» [4].

وعن أبي شريح بن خويلد أن رسول الله ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، والضيافة ثلاثة أيام. فما كان بعد ذلك فهو صدقة. ولا يحل له أن يثوي حتى يحرجه» [5].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن غريب.

(٢) رواه الطبراني والبزار وأسنده حسن.

(٣) قال المنذري: أي وإن لزوّارك وأضيافك عليك حقاً. يقال للزائر زور سواء فيه الواحد والجمع.

(٤) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وغيرهما.

(٥) رواه البخاري ومالك ومسلم وأبو داود.

قال المنذري: قال الترمذي: ومعنى «لا يثوي» لا يقيم حتى يشتد على صاحب المنزل، والحرج الضيق.. وقال الخطابي: معناه ـ لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد ثلاثة أيام من غير استدعاء منه حتى يضيق فيبطل أجره. وقال المنذري: وللعلماء في هذا الحديث تأويلان: **أحدهما**: أنه يعطيه ما يجوز به ويكفيه في يوم وليلة إذا اجتاز به. وثلاثة أيام إذا قصده.. والثاني يعطيه ما يكفيه يوماً وليلة، يستقبلهما بعد ضيافته.

وعن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال:

«الضيافة ثلاثة أيام. فما زاد فهو صدقة، وكل معروف صدقة»(١).

ومن حق الضيف إذا منع قراه أن يأخذه رغم أنف المضيف.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«أيما ضيف نزل بقوم، فأصبح الضيف محروماً، فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه»(٢).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من

---

(١) رواه البزازي ورواه ثقات.

(٢) رواه أحمد قال الحافظ المنذري ورواته ثقات وقال رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد.

الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل»[1].

حق الدولة:

وثمة حقوق أخرى على المالك في ماله نحو أمته؛ كالجهاد، والدفاع بالمال عنها، وكالمساهمة بالمال في المصالح العامة، والمشروعات النافعة التي هي قوام أمر الأمة وصلاح حالها؛ من تشييد للمدارس، وبناء للمساجد، وإقامة للمستشفيات، وغير ذلك مما يعود نفعه على الأفراد والجماعات...

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[3].

---

(١) قال المنذري: رواه الترمذي من حديث سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٣) سورة التوبة، الآية:١١١.

الفهرس

قوة الخُلق

قوة العلم

قوة الاقتصاد







